

الصهيونية وتطلعاتها المستقبلية

الأخ أبو نزار: ندوة اليوم تتعلق بموضوع هام هو الموضوع الذي سيتحدث عن مستقبل الحركة الصهيونية في مداها معنا الأخ الدكتور إبراهيم أبو لغد نترك له المجال ليتحدث إليكم وشكراً.

الأخ د. إبراهيم أبو لغد: مساء الخير،

أنا لا أستطيع أن أتحدث عن المستقبل دون الرجوع إلى الماضي قليلاً، لسبب أساسي أن الذي لا يعرف التاريخ هو لا بد أن يكرره، فأفضل بكثير أن نتفق على أرضية الحديث. الشيء الأول الذي أريد أن أقوله في الحركة الصهيونية تاريخياً، هي حركة قومية أوروبية لا تختلف عن أي حركة قومية نشأت في العالم، ومن المميزات الرئيسية للحركة الصهيونية أنها دائماً كانت المستفيدة من التحولات التاريخية العظيمة التي أثرت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين والآن نحن على أبواب القرن الواحد والعشرين، والآن هو بداية التحول التاريخي للحركة الصهيونية في الإطار العالمي الذي تجبره لنفسها لأنها تتنبه وتعمل للاستفادة من كل تحول تاريخي. وأريد أن أذكر فقط، هي حركة نشأت في القرن التاسع عشر، عندما كانت الحركات القومية في أوجها، هرسل عندما طور فكره السياسي القومي كان هو متجانس مع جميع الحركات القومية الأوروبية. ونحن كنا في البداية في ذلك الوقت في المنطقة العربية.

النقطة التاريخية الثانية التي مكنت الحركة الصهيونية من انتزاع امتيازاتها التي أكدت عليها في المؤتمر الصهيوني الأول، كان هو الحرب العالمية الأولى، عندما انتزعوا وعد بلفور وصك الانتداب. انتصار تاريخي فاتنا نحن لأننا كنا على وشك الاستقلال ومؤتمر السلام قال بأنه يمكن اعتبارنا مستقلين مرحلياً "Provisional independent"، كلنا في فلسطين وسوريا... الخ، مع ذلك نحن خضعنا للإستعمار وهم خضعوا لظروف تمكنهم الاستفادة من التحول الثاني وهو الحرب العالمية الثانية. ونحن كنا الخاسرين في هذا التحول التاريخي ولا أقصد فقط نحن الفلسطينيين ولكن نحن كعرب خسرنا من التحول التاريخي الثاني. ثم الحرب الباردة التي تركزت فيها إسرائيل وتمكنت من إحضار وتحقيق هدف من الأهداف الأساسية للحركة الصهيونية بالمجيء بيهود العالم فأفرغت المنطقة العربية وفي نهاية الأمر أتت بالمهاجرين. الوجود الديموغرافي المكثف في إسرائيل هو من نتائج الحرب الباردة.

نحن الآن في المرحلة التاريخية التي نعرفها نحن. أنا لا أعلم ماذا سيأتي بعد عشرين أو خمسة وعشرين سنة أو خمسين سنة. لكن نحن الآن في تحول تاريخي كبير عندما تستفرد أمريكا بسيطرتها على العالم في إطار يسمى الآن Localization، أنا لا أعتقد أن نتناها هو يسلك السلوك الصهيوني الذي يسلكه الآن سياسياً ابتداءً من حرب الخليج حتى الآن، أنا أعتقد أن هناك صراعاً يومياً للاستفادة من هذا التحول التاريخي الذي إذا لم نحسن الصراع فيه نكون كذلك الخاسرين في القرن الواحد والعشرين. وربما تكون هي الخسارة النهائية.

من كل ذلك مهم جداً أن نعرف كيف تمكنت هذه الحركة من النجاح، وهي من الحركات الناجحة جداً جداً ومستقبلها على المدى القريب -في نظري- كذلك هو مستقبل جيد. كحركة قومية، وأريد تذكيركم بالجدليات العربية بشكل عام والفلسطينية، إننا نقع في خطأ أساسي عندما نقول بأن اليهود ليسوا أمة،

نحن نقول تاريخياً أنهم طائفة دينية في إطار نظام دولة آخر. لكن نحن في تاريخنا لم نعترف ولم نقبل المقولة الصهيونية بأن اليهود أمة. الحركات القومية العالمية كلها تطرح منظورها وأهدافها على أساس الارتباط بالقوم، هذا معنى الحركة القومية، هناك فكر قومي الذي نشأ وتبلور في عصر الثورة الفرنسية والفلاسفة الذين وضعوا هذا بما فيهم "روسو" وهو أهمهم. أهمية الموضوع في أن القوم له الحق في الاستقلال والسيادة، من حقه أن لا يحكم من غير قومه. هذا معنى القومية، أنك تنشئ نظاماً سياسياً لمن تفكر بأنه لديه الانتماء والمقومات التي تجعل منه شعباً وقوماً وأمة تختلف عن الآخر، فلا يجوز في منطق القرن التاسع عشر بعد الثورة الفرنسية وحتى اليوم، لا يجوز لآخر أن يحكم القوم، ولذلك صراع القوميات كلها هو صراع سياسي بالدرجة الأولى، حقها في تقرير المصير والحكم من ذاتها. الحركة الصهيونية وفي القرن الذي نشأت به، وهو نفس القرن الذي نشأت فيه قوميات كثيرة أخرى، نحن لا نناقشها، كالمجر هل هم أمة أم لا؟، لا دخل لي لأنهم لم يحضروا عندنا، لكن نحن نقرأ في التاريخ، نقرأ في الكتب، الحركة القومية الهنغارية، الحركة القومية الرومانية.... ونقبلها، لأن الرومان والمجر وغيرها هم قالوا بأنهم أمة، وليس من حقي أن أتحداهم في هذا القول، إن كانوا يقولون أنهم أمة ويصارعون من أجل ذلك، أنا أرى كم يوجد عدل في ذلك فأما أويدهم أو أقف على الحياد أو أسمع فقط، وبالنهاية ينجحون في تأسيس الدولة نعترف بهم.

ما أريد أن أقوله أن الحركة الصهيونية هي حركة قومية استندت إلى مفهوم أساسي بأن اليهود أمة. نحن في دراستنا للقوميات المختلفة نحن نعرف ما هي مقومات الأمة، لغة مشتركة وتاريخ مشترك....، هناك أمور موضوعية تفرضها فكراً وتسير على أساسها بحيث تجمع هؤلاء الناس في محيط جغرافي معين. عندما تبحث اليهود أو الإسلام أو المسيحيين، نحن في منظورنا التقليدي أن هؤلاء ليسوا أمة، الباكستان أقامت أمة، لا أحد يناقشهم في حقهم في الانسلاخ عن الهند على أساس ديني، الفرق بين الباكستان والهند هو فرق أساسي أن الباكستانيين الهنود المسلمين في ذلك الوقت في حركة سياسية Muslim Leed بقيادة جنة هم قالوا بأنهم يريدوا أن ينسلخوا لأنهم يختلفوا عن الأكثرية المطلقة في القارة الهندية، كانوا هم حاكمين في السابق، ثم أصبحوا محكومين ولم يستطيعوا أن يمارسوا طوقسهم... الخ، فككوا أشياء كثيرة ولكن تبعهم الشعب، وانقسمت الهند، ونحن لا نناقش اليوم شرعية وجود الباكستان، وهي تستند في الدرجة الأولى على الدين. لكن الدين وحده لا يعطي الباكستان الشرعية الكاملة، لأن هناك خبرة بين هؤلاء الناس التي تجعل منهم حقيقة أمة. الخبرة التاريخية للشعب بغض النظر عن العوامل المشتركة الأخرى، الخبرة التاريخية هي عامل مهم في تكوين الأمة وتكوين الشعوب وتكوين الانتماء. نحن كفلسطينيين من مميزاتنا التي تميزنا عن العرب الآخرين أننا خضعنا إلى ظروف تاريخية معينة هذه الخبرة المشتركة بيننا جميعاً جعلت منا شعب، صحيح أننا ننتمي إلى العرب ولكننا لنا خصوصيتنا. هذه الخصوصية تأتي من الخبرة التاريخية.

ما أكدت عليه الحركة الصهيونية أن اليهود يشكلون أمة، ومن حقهم بالتالي أن يستقلوا. الفرق بين الحركة الصهيونية والحركات الأخرى قاطبة هو كل قومية ناضلت في سبيل انسلاخها عما سبق من كيان سياسي سواء الامبراطوريات العثمانية أو النمساوية... الخ، هم حاولوا الانسلاخ في أرضهم، هم كانوا على أراضيهم سواء المجرين أو الرومانيين أو اليونان، كل شعب قاوم وأراد أن يجانس بين المفهوم القومي والسيادة هو أراد سيادة على ما يعتبره أرضه. هذا الفرق الأساسي، ما عدا ذلك لا يوجد هناك أي فرق بين الحركة الصهيونية كحركة قومية اعتمدت أولاً على الرابط الديني والطوقس الدينية والقانون الديني الذي نشأ في إطار، لكن هم كذلك اعتمدوا في هذه الوحدة على الخبرة اليهودية المشتركة في جميع أنحاء العالم وهي خبرة تاريخية غنية أولاً غنية بالإيجاب وغنية بالسلب، أن الشعب اليهودي الأمة اليهودية التي اعتبرها هرتسل هو قال وبعده كل القيادة اليهودية قالت بأن اليه ودي الذي يعيش في عالم الغير هو مضطهد، وجمعنا جميعاً اليهودي اليمني الذي كان مواطناً في الدولة الإسلامية من الدرجة الثالثة هو

من أهل الكتاب، ولكن نحن نعرف أيضاً أهل الكتاب هناك أيضاً تمييز، كل مجتمع فيه أقلية واكثريّة فيه تمييز، فهم قالوا بأن اليهود بغض النظر عن اللغات لأنه لا يوجد لهم لغة مشتركة، اللغة العبرية هي لغة دينية قبل أن تتطور إلى ما هي عليه اليوم، مثل الباكستاني الذي يقرأ القرآن جزءاً بالعربية "هو لا يفهم"، لكن اللغة "اللديش" التي كان يتكلم بها هرتسل وكل القيادة الصهيونية هي لغة "بندوقة" ممزوجة، فيها شيء من الألماني وشيء من العبري.... الخ، لكن هذه اللغة المشتركة التي تجمعنا نحن مع العرب، هم لم يكن عندهم مثلاً، لكن كان عندهم مجموعة أي أساس لغوي، لكن الخبرة التاريخية عوضت عن ضعف ما يجمع هؤلاء الناس لأنهم كلهم كانوا مضطهدين في جميع المجتمعات التي عاشوا فيها ليس فقط في ذلك الوقت ولكن في التاريخ. وهذا عامل مهم جداً وفيه كل أدبيات الصهيونية، وايزمن قالها (حاييم وايزمن الرئيس الأول) قال: أينما يذهب اليهودي يأتي بالانتي اميتازم معه، هو يحملها كجرثومة، هو لا يوجد أنتيزاميتازم، في الهند لا يوجد لأنه لا يوجد عندهم يهود، وكذلك في الصين لا يعرفونها، والأفارقة كذلك، لكن في أوروبا وهو العالم المسيحي، أينما ذهب اليهودي حقيقة في كل مكان مسيحي أوروبي هو أتى بالجرثومة. وبالتالي هي متأصلة (ما قاله وايزمن) ولا يمكن استئصالها من هذا الجسم، ومن هنا نشأت فكرة العودة إلى صهيون. الحل الوحيد للأنتيزاميتازم، مطابق فكرة قومية أنه عند قوم يوجد اضطهاد لا يوجد مستقبل الحل هو إيجاد الوطن القومي اليهودي. ونحن نعرف هذه الفكرة هي العودة إلى صهيون، هم لم يقولوا أنهم سوف يؤسسون دولة في مكان ما فقط، هم قالوا العودة إلى صهيون هم يعودوا، الوطن الذي توفر لجميع القوميات الأخرى هو توفر لهم بالمخيلة وبالفكرة التاريخية، أنهم كانوا في هذا البلد في السابق وهم بالتالي عندما يؤسسوا الوطن القومي اليهودي هم يؤسسوه على أرضهم التاريخية، بغض النظر عن الوعود الإلهية وغيرها، لكن في الوعي اليهودي الديني المكان الأصلي لليهود هو صهيون وفلسطين، وبالتالي تجمع الفكر القومي أنه من حقهم الاستقلال والسيادة على أرض، أصبحت الأرض في هذا المفهوم هي العودة إلى صهيون. هذا الأمر الأول.

هذا لوحده لا يكفي، الفكرة طرحت، ومهما بحثت في الحركة الصهيونية لا يوجد غيرها، الفكرة الأساسية أنه يوجد يهود هم أمة واحدة، هم بحاجة إلى وطن، ووطنهم موجود، أي سوف لا يخلقوا وطناً جديداً هو موجود، لكن هم لم يكونوا يعيشون فيه، وايزمان قال هي مسألة بسيطة، هي مثل الخاتم تضعه على الإصبع، نحن مثل الخاتم والأصبع هو الأرض، كل ما علينا أن نحضر هذا الخاتم ونضعه.

ماذا تتطلب العودة؟ هنا نحن نتحدث عن استراتيجية الحركة الصهيونية، الشيء الأول أن العودة إلى صهيون تتطلب العودة إلى اليهودية، أنه بدون يهودية أنت ليس لك صهيون، ليس لك وطن قومي، هرتزل ووايزمن وكل القيادات الصهيونية هي قيادات علمانية، غير متديّنة، غير أصولية، وأحياناً لا يصلوا، لكن هم يهود بالمعرفة، الناس يعرفونهم بالانتماء، وهم يعرفون أنفسهم بالانتماء، لكن هم كانوا مدرّكين بأن التعبئة الشعبية للعودة إلى صهيون، لا يمكن أن تتحقق دون أن يصبح المجتمع الأوروبي اليهودي، بمعنى الانتماء الحقيقي، أن تعيد له وحدته الدينية. في المؤتمر الصهيوني اتخذوا قرار "التنظيم"، هم قالوا أنه لا بد من إعادة تنظيم اليهود، وبالتالي عندك مؤسستين متوازيتين نشأوا تقريباً في آن واحد، مازالتا تعملان اليوم، وستعملان غداً، بغض النظر عن الدرجة التي ستعملان بها، وهما المنظمة الصهيونية العالمية، وكل المنظمات الصهيونية الوطنية، أي المحلية في الأوطان المختلفة، لكن في آن واحد، هناك منظمة اليهود العالمية "The World Jewish Congress"، وفي كل مكان في الدنيا ستجدون المجلس الوطني اليهودي. لهم أهداف تختلف، وتلاحظون تاريخياً أن العودة إلى صهيون التي تتطلب العودة إلى اليهودية عنت، ليس فقط في التنظيم ولكن في الممارسة، أن تجعل منهم يهوداً حقيقياً. بمعنى أن المجتمع الذي بدأ يذوب في المجتمعات المسيحية الأوروبية، والمجتمع الأوروبي كان مستقطباً وهو مجتمع في طريقه إلى العلمنة الكاملة، أي الفصل بين الدين والسياسة، كذلك أثر في اليهود وكانوا من أنصاره، لأنهم كانوا يستفيدوا من العلمنة ومن التشريعات العلمانية، وهم جاهدوا في سبيل ذلك.

في آخر القرن التاسع عشر، وهم كانوا من القيادات الفكرية التي أيدت العلمنة، هم انتبهوا أنه إذا نجحت هذه العلمنة وذابوا في المجتمعات المسيحية هم سيفقدوا هويتهم وبالتالي من الضروري إعادتهم إلى هويتهم. The World Jewish Congress, The American Jewish Congress، والمجلس البريطاني كل هذه المجالس بدأت تمارس المدارس "الأحادية"، لأن المدارس الحكومية لا تدرس الدين، الآن لا يوجد مدرسة حكومية في أمريكا تدرس الدين، ممنوع، وهذا ينطبق على جميع الأديان. كيف تنمي الانتماء اليهودي دون أن تدرسه، دون أن تضع له منهجاً، هم من أكفأ المجتمعات في العالم في المحافظة على هذا الانتماء عن طريق المؤسسات التعليمية التي ترعاها المؤسسات المدنية. هناك شيء متناقض، هرتزل ووايزمن وكل القيادات الصهيونية هي قيادات علمانية، قيادات تدعو إلى تأسيس دولة علمانية، ولكنها تستند إلى اليهودية بمعنى الانتماء، لكن هذا الانتماء لا يأتي إلا إذا كان ممارساً دينياً. إذن الرابط القومي اليهودي هو أساس الرابط السياسي. فالعودة إلى صهيون تحتاج للعودة إلى اليهودية والتنظيم، ثم أضافوا شيء نعرفه جميعاً وهو أن العودة إلى صهيون تتم شرعاً أي معترف بها دولياً. من البداية لليوم هم يستندون إلى الشرعية، هم يصرون دائماً بأن لا تتم أي خطوة في تحقيق الوطن القومي اليهودي الذي يريدونه دون أن يستندوا إلى شرعية دولية. وعندما يهاجروا إلى فلسطين يقولون أن الهجرة هي حق لهم، مثلما نحن نطالب الآن بحق العودة، هم طالبوا بحق العودة.

إذن وجود اليهود في فلسطين هو مرتبط بالإقرار الشرعي، وبالتالي عندما بدأوا، وهذا ميز الحركة الصهيونية في تطلعها عما سبقها من مجيء إلى فلسطين، لأن اليهود كانوا دائماً يأتون إلى فلسطين ولكن كانوا يأتون بدافع ديني، وليس سياسي، ويأتون كمهاجرين قبلهم الدولة العثمانية، تقبلهم كمهاجرين، أي ليس لديهم الحق أن يدخلوا فكانت الدولة العثمانية تستطيع أن تمنع دخولهم. بالتالي هم كانوا حريصين على أن يأتوا بحق أي أسس. وهذه الأسس لا زالت موجودة رغم التغير الهائل الذي حدث في فلسطين.

ماذا حدث لهذه الأطروحات عندما تحققت إسرائيل؟ أي عندما أخذوا صك الانتداب وأسسوا ال (Jewish Agency) والمجتمع اليهودي السياسي كله تحقق قبل ال48، أي التكوين اليهودي بدافع الصهيونية وبدافع تأسيس الوطن القومي هو تأسس بين 22 و ال48، فعندما حدثت النكبة هم كانوا جاهزين للحكم والسيادة، وهم يطلقون عليها اسم حرب الاستقلال، أي أنهم استقلوا!!، وهو مطلب قومي لكل القوميات. وبدأ تاريخ جديد بالنسبة لهم، أول معركة حدثت (أحدثت في الحركة نفسها) في أوائل الخمسينات، والتي قادها بنغوريون، بنغوريون قال أن الصهيونية حققت رؤياها، لم يعد هناك صهيونية، ولا يمكن لصهيوني أن يكون صهيوني حقيقة إذا كان يعيش في المنفى. الوطن القومي الذي طرحته الحركة الصهيونية هو تحقق، وبالتالي المهمة الصهيونية هو أن يأتي هذا الإنسان إلى الوطن، ويجب أن نقضي على الشتات. هو قال هذا الكلام وحضر إلى أمريكا لكي يقنع الحركة الصهيونية الأمريكية أن تلغي نفسها، أنه لم يعد لوجودها سبب، الحركة في الأصل هي تأسيس الوطن القومي، وتمكين اليهود في العالم من المجيء إلى هذا الوطن، فلم يعد هناك ضرورة للحركة الصهيونية.

كانت معركة كبيرة جداً، انتهت بفشل بنغوريون، حيث هزمته الحركة الصهيونية والحركة اليهودية العالمية، أنه لا هذا الشتات سيبقى، ولكن سيبقى له مهمات بالنسبة للوطن القومي اليهودي، فالصراع الذي حدث بعد فشل بنغوريون هو صراع على مركزية إسرائيل في اليهودية العالمية وفي التنظيم اليهودي العالمي، ولذلك الصراع الخفي الذي حدث عندما تفاهموا عبر مؤتمرات عديدة، مثل الاتفاقية التي تم إبرامها مع ال (Jewish agency) التي أصبحت هيئة غريبة، أولاً بالقانون الأمريكي هناك اتفاقية بين إسرائيل وبين ال (Jewish agency) الوكالة اليهودية التي كانت معنا في فلسطين هي تغيرت، خاصة بعد 48 أي بعد قيام الدولة، ما هي الوكالة اليهودية وما دورها، لذلك أبرمت إسرائيل اتفاقية مع الحركة

الصهيونية العالمية ومع الوكالة اليهودية، أن وظيفتهم محددة، لا يحكموا ولكن يتحملوا مهمات محددة نيابة عن إسرائيل، وحسب هذه الاتفاقية انتم خاضعين. وبالتالي اضطرت الوكالة اليهودية أن تسجل نفسها في القانون الأمريكي بأنها عميلة لدولة أجنبية (وكيلة لدولة أجنبية). عملوا اتفاقيات مع كل الحركات، وإسرائيل أصرت في الكثير من الأحيان على أن المؤتمر الصهيوني العالمي أن يعمل مؤتمراته السنوية (ليس بالضرورة كل سنة) لكن المركز الرئيسي للحركة الصهيونية العالمية هو القدس، كانت هي حركة شتات، المركزية اليهودية هي في إسرائيل، مركزية العمل السياسي هي في إسرائيل، ما هي مهمة الصهيونية العالمية في الخمسينات والستينات والسبعينات؟ لم يكونوا خجولين، أن يدعموا مصلحة إسرائيل سياسياً مع الدول، هم أقرب إلى أن يكونوا عملاء، هم لم يسجلوا، لأن الحركة الصهيونية الأمريكية، هي مؤسسة أمريكية حسب القانون الأمريكي، هي تدعوا إلى دعم دولة ثانية، هي لا تأخذ قراراتها من الدولة الثانية. هكذا حلوا الإشكال، المركز هو إسرائيل. الحركات الصهيونية العالمية توازن إسرائيل، تدعم الهجرة وترتب الهجرة، وتتبنها وتتبنى العمل السياسي لدى الحكومات (اللوبي)، هي تتولى هذه المهمة. مثال: السفير الإسرائيلي السابق في أمريكا "وتر جيتان" كان واضحاً أنه قبل أن يتحرك مع الكونغرس أو مع الرئيس الأمريكي كان يجلس مع القيادة الصهيونية الأمريكية، ويطرح عليهم، ثم يطلب منهم الدعم الحقيقي لأي شيء، هو كان يتعاون معهم. بعض الأمريكيين كانوا يقولوا أن هذا السفير هو سفير لأمريكا لكن هو كذلك سفير للجالية اليهودية، ويحضر كذلك اجتماعات الجالية اليهودية. الحركة الصهيونية أصبحت هي الداعمة لإسرائيل بلا قيد ولا شرط.

في الوقت الحاضر هناك مشاكل كبرى نشأت ولا يوجد حلول لها، لكنهم سيجدون الحلول المناسبة لها.

المشكلة الأولى حسب ما أرى هي تعريف من هو اليهودي؟ من هو اليهودي يشكل مشكلة كبيرة لإسرائيل، وبالنسبة للحركة الصهيونية واليهودية في الخارج، أولاً لأن الجماعات المتدينة في إسرائيل والتنظيم السياسي الديني في إسرائيل، هو يوحي بأن القول الفصل فيمن هو يهودي يجب أن يأتي من إسرائيل لمركزيتها في العالم اليهودي. وفي إسرائيل من هو الذي يتكلم في هذا الموضوع؟ هناك القوى العلمانية (الحركة الصهيونية) هي ضد الدين رغم أن عطلتهم يوم السبت وطقوس كل الأعياد في إسرائيل هي أعياد دينية لكنها بالنسبة لهم أصبحت أعياد عادية يعطلون فيها عن العمل فقط. لكن هم ملتزمين أكثر في هذه الأعياد منا ليس لسبب ديني هم أيضاً يحبون العطل.

هم في أزمة، أنه إذا كانت اليهودية هي أساس إسرائيل أنت لا تستطيع أن تضعفها، في آخر القرن الواحد والعشرين وحسب كل الدراسات التي نراها كثير من اليهود في أمريكا وفي بريطانيا يتزوجوا من خارج اليهودية، وهذه الظاهرة تجدها بكثرة، لكن في إسرائيل غير موجودة، لأن القانون الإسرائيلي مثل القانون العثماني، لا يسمح ب (MIX MARRIAGE)، أي القوة الدينية لا تزال موجودة. إذن هم في أزمة، في تعريف اليهودي لا يستطيعوا أن يذهبوا كثيراً إلى العلمنة، لأن المحافظة على الدولة، هي المحافظة على اليهودية، وبالتالي المتدينين والمتزمتين هم الذين يسيطرون على الموقف مما يثير مشاكل مع العالم العلماني اليهودي خارج البلاد.

المشكلة الثانية هي الهجرة، إسرائيل تنتعش بالهجرة رغم الكلفة الاقتصادية التي يتحملوها لاستقطاب المهاجرين. ونحن لا ننسى قدراتهم المالية التي تساعد على تحمل نفقات الهجرة. أنا أقول أنهم نجحوا نجاحاً باهراً في المجيء بالهجرة اليهودية التي تتوجت بالهجرة السوفياتية. بغض النظر كم هم السوفييت هم مسيحيين أو مسلمين أو مخططين ليس مهماً لكن في قليل من السنوات هم أتوا بما لا يقل عن 800 ألف روسي هم من طبقة بشرية متميزة من حيث الكفاءة والمهارة والعلم. في ظرف خمس سنوات إسرائيل أضافت إلى حصيلتها في العلم (العلماء) كان لديهم 850 عالماً، الهجرة السوفيتية أتت لهم ب 2800 عالم، الذين يحدثون تغييراً نوعياً في البنية الإسرائيلية. هذا هو النجاح الباهر الذي أحدثته الحركة

الصهيونية التي لن تكل في الدعوة لإحضار اليهود السوفييت.

أنا أتذكر عندما ذهبت إلى شيكاغو عام 1964، رأيت يافطات على الطرق فقط يكتبون عليها "حرروا اليهود السوفييت"، وكل يوم الساعة الثانية عشرة، تجد خمسة عشر يهودياً أمام مبنى سوفييتي يحملون يافطات، لا يضحوا بشيء. هذا الكلام صار في كل أمريكا يومياً، من 1964 - أنا متأكد أنه كان قبل - إلى أن حدثت الهجرة السوفيتية اليوم، بحيث أصبحت مطلباً سياسياً أمريكياً في المفاوضات مع السوفييت وهناك عقاب في التجارة إذا لم يسمح الاتحاد السوفيتي بفتح أبوابه للهجرة اليهودية. أصبح مطلب سياسي أمريكي في أولوياته.

كان سناتور صهيوني كبير (لا علاقة له باللوبي) كان من ولاية واشنطن التي لا يهود فيها. هذا السناتور اسمه جاكسون (توفي) كنا نسميه في أمريكا "سناتور بوينغ" لأن شركة بوينغ الموجودة في سياتو هي التي كانت تدفع نفقات حملته الانتخابية، وهو كان يحضر لهم امتيازات كثيرة. هذا كان أكبر داعية للحركة الصهيونية، لا أعرف لماذا، لم نعرف سر العلاقة، هو كان يميني ضد السوفييت.

التحدي القادم بالإضافة لما قاله الأخ أبو نزار - هناك تحول عالمي الآن. أنا لا أعتقد أنه يوجد لوبي في أمريكا (وربما أختلف في الرأي مع كثيرين) هناك ولاء أمريكي وهيمنة ثقافية على المجتمع الأمريكي تجده في الجامعات وتجده في كل مكان. تجد هيمنة وتأييد ودعم لكل شيء إسرائيلي، قسم منه من أصول دينية وقسم منه من معرفة يهود، أسباب متعددة، وكما نقول اللوبي واللوبي... ونحن لا نزال نجهل ما هو اللوبي... أي عندما تأتي تبحث وتساءل حقيقة تجد مصادر متعددة لهذا النفوذ الذي يقول أبو نزار هذا جزء من الإدارة الأمريكية... هذا صحيح لكنه دائماً كان جزء من الإدارة الأمريكية وليس جديداً... ممكن أن يكون لهذه الهيمنة "الهيمنة الفكرية/ الكتب التي تصدر/ الأدبيات/ الصحافة/ المجالات" تكوين الرأي العام هو بواسطة يهود أمريكيان ليس فقط إسرائيل تذهب وتعمل ذلك لكن الأصول الدينية أيضاً شيء ثاني.... الخ.

هناك عداء أمريكي حقيقي، لم يؤيدوا أي حركة استقلال عربي على مدى التاريخ، لا علاقة لذلك بإسرائيل، هم لم يؤيدونا بشيء وما زالوا.. ولكن نحن ما زلنا نصر أنه يمكن أن نعلمهم، وأنهم يمكن أن يعرفوا الحقيقة، لا يروا إلا أن يتغير التفاعل.

لكن التحدي الآن هو من شقين، كيف نتعامل مع إدارة تشمل Consensus أمريكي - سواء هو جمهوري أو ديمقراطي - هناك Consensus، إسرائيل لا تُمس، كم يجب أن تتوسع، وكم يجب أن تكون زفت...

الفرق بين الديمقراطيين والجمهوريين هو يأتي إما في التحالف الحزبي وإما في العداء للاتحاد السوفييتي، الآن الاتحاد السوفييتي فرط لكن هناك روسيا دولة كبيرة، هناك الصين... أي تعامل مع الدول الكبرى، يجب أن نتعامل معهم.. كيف يؤثر هذا في ال Consensus الأمريكي؟

الشيء الثاني أن المنطقة الأخرى التي ستوفر الهجرة إلى إسرائيل هي أمريكا.. عندما كان اليهود مسيطرين... أسوأ المستوطنين اليوم هم الأمريكيان، أسوأهم على وجه الإطلاق، عندهم مشاكل في المجتمع الأمريكي قسم منهم ديني، مصادر مختلفة للتطفيش، إسرائيل مستعدة أن تستقطب الكفاءات الأمريكية كما الكفاءات الروسية أثرت في موازين القوى وتؤثر اليوم.. المصدر الأخير النوعي لإسرائيل هي أمريكا، الآن الحركة الصهيونية في مستقبلها هي تعمل لتحقيق ذلك.. شكراً

أبو نزار: شكراً للأخ الدكتور إبراهيم أبو لغد الذي أضفى توضيحات كثيرة لدينا بما يتعلق بمفهوم الحركة الصهيونية كما عرضها، قد يختلف البعض معه أو يتفق بالنسبة للطروحات ولكن الحقيقة تستدعي منا دائماً أن نتشبت بالمقولة (أعرف عدوك) ونعلم باستمرار كيف التطور المستقبلي لهذا العدو بنفس الوقت نعرف كيف نضع مخططاتنا لمواجهة هذه المخططات التي أشار إليها والتي أخطر ما فيها هو استمرار الهيمنة الصهيونية التي يمكن أن تلعب دوراً لدرجة أن تنقل اليهود الأميركيين إلى داخل فلسطين وبالتالي أصبح أمريكا هنا وليس فقط اليهود والصهاينة.

فيما يتعلق بالإشارة التي تحدث عنها الأخ الدكتور خلال حديثه حول الصراع بين المشروع الصهيوني وبين الحركة الصهيونية أي حول المركزية اليهودية هل هي في إسرائيل أو في الحركة الصهيونية بتقديري هو العنوان الواضح جداً الذي يتحدث عنه الأخ د. محمد شنتية حول صهيونية الدولة ودولة الصهيونية هذا المحور نترك الحديث للأخ محمد شنتية .. وشكراً.

محمد اشتية : صهيونية الدولة ودولة الصهيونية

شكراً للأخ أبو نزار على تنظيم هذه الندوة المتميزة من ناحية الحضور ومن ناحية المحتوى، أعذر عن تأخير قدومي من البداية وسأعوض ذلك بالاختصار من الملاحظات التي سأبديها، لصالح حق الحضور في المداخلة.

نتيجة هذا النوع من الحضور أنا لن ألقى محاضرة لكن سأكتفي بطرح محاور نقاش تتعلق بموضوع صهيونية الدولة والدولة الصهيونية وسأكتفي بما أورده الدكتور إبراهيم أبو اللغد من خلفية تاريخية لهذا الموضوع.

المحور الأول هو الصهيونية في حد ذاتها، الصهيونية الآن هي عبارة عن محاولة لضمان استمرار وجود اليهود بشكل فاعل في الحاضر التاريخي، وهناك مجموعة عناصر لاستمرار هذا الوجود، العنصر الأول هو الأرض، والعنصر الثاني هو اللغة، والعنصر الثالث هو السلطة السياسية. والحركة الصهيونية استخلصت بصورة انتقائية عناصر معينة من التقاليد اليهودية وبالتالي هذا عوداً على النقطة التي جاءت بمحاضرة الدكتور إبراهيم حول موضوع التراث والتقاليد.

الانتقائية جاءت بثلاث عناصر رئيسية، العنصر الأول هو الكيان الجماعي لليهود سواء كان ذلك في أوروبا أو سواء كان ذلك ما نتوج لاحقاً عن الحركة الصهيونية وهو قيام دولة إسرائيل. والعنصر الثاني هو المكانة الإقليمية بمعنى أرض صهيون أو أرض إسرائيل الكبرى. والعنصر الثالث هو اللغة العبرية التي جاءت كعنصر من عناصر صهر المهاجرين اليهود داخل المجتمع الإسرائيلي وعنصر من عناصر الهوية.

المحور الثاني للنقاش هو الوجود اليهودي في الزمان المعاصر. وبالتالي نتطرق في هذا الموضوع إلى الطوائف اليهودية أو الجاليات اليهودية في الغرب. الجاليات اليهودية في الغرب اليوم تختلف بشكل كبير جداً عن وجود الجاليات اليهودية في الماضي، بمعنى أن المجتمعات الغربية اليوم هي مجتمعات ديمقراطية هي مجتمعات... (نهاية الوجه الأول الشريط الأول)

دول الغرب هي من أهم العناصر التي أزالنا الخصوصية اليهودية في الغرب وبالتالي قد شجعت على ظاهرة الذوبان اليهودي في المجتمعات الأوروبية الحديثة، وكما قال أحد الصهاينة ان هذا الموضوع هو أخطر على الحركة الصهيونية من معظم المجازر التي ارتكبها هتلر لأن هذا سيؤدي بالمحصلة النهائية إلى الاختفاء التدريجي للهوية اليهودية في المجتمعات الغربية.

النقطة الثالثة في موضوع الوجود اليهودي في الزمان المعاصر هي أن معظم اليهود في الغرب الآن هم من اليهود العلمانيين، وبالتالي موضوع الهوية اليهودية لم تصبح مهمة لا لأولادهم ولا لأحفادهم، وبالتالي هذا أيضاً عنصر من عناصر الاندماج اليهودي في المجتمعات الغربية.

المحور الثالث للنقاش هو موضوع أزمة الهوية الذاتية اليهودية، والهوية اليهودية هي ليس فقط هوية نابعة من الدين في الديانة اليهودية ولكن هي نابعة أيضاً من التراث وهي هوية نابعة من وصف الذات اليهودية وهي الهوية النابعة من التقاليد اليهودية التي تم ترسيخها على مر العصور.

الموضوع الثاني في أزمة الهوية هو البحث الدائم عن الذات وهذه النقطة كما ذكر الأخ الدكتور إبراهيم أنه لا زال هناك عدم وجود حتى في تعريف من هو اليهودي حتى هذه اللحظة على مدار العصور لا زال اليهودي يبحث عن ذاته.

والنقطة الثالثة هي موضوع الاغتراب بمعنى عدم التواصل اليهودي على مدار التاريخ وانسلاخ اليهود أحياناً عن الواقع الذي يعيشوا فيه.

المحور الرابع للنقاش هو الصهيونية كعامل مؤثر في التوجهات المستقبلية ليهود الشتات، وفي هذا الموضوع هناك نقطتين أساسيتين، النقطة الأولى أن الصهيونية لم تعد نموذج متجدد بالنسبة ليهود الشتات، وبالتالي النموذج الصهيوني المعمول به الآن هو النموذج الصهيوني الذي أقامه هرتزل حتى بالمؤسسات التي أقيمت منذ ذلك التاريخ وهذا النموذج الغير متجدد قد أدى بشكل أو بآخر إلى تدهور علاقات يهود الشتات ويهود إسرائيل.

النقطة الثانية في موضوع الصهيونية كعامل مؤثر في التوجهات المستقبلية ليهود الشتات، تأتي على ما هو الفرق بين يهود الشتات ويهود إسرائيل. أحد الصهاينة "جدعون شمعون" يقول أن يهود إسرائيل مثل الدولة القومية وبالتالي الدولة القومية يهملها بشكل أساسي مصلحة المجموع وهي تناضل من أجل هذا المجموع والدفاع عن مصالح هذا المجموع اليهودي العرقي بجميع عناصره. أما يهود الشتات فهم مثل الدولة المدنية والدولة المدنية لا تعني بالمجموع بل تعني برفاه الفرد وبالتالي هذا الفرق ما بين يهود الشتات الذين يمثلون الدولة المدنية وما بين يهود إسرائيل الذين يمثلون الدولة القومية مهم، وبالتالي بالنسبة لهم أنه كلما تقارب الشبه بين يهود الشتات ويهود إسرائيل فإن إسرائيل تفقد عناصر الجذب وكونها مركز أساسي لليهود. أن هذا التشابه إذا كان نزعة قومية في أوروبا في ألمانيا أو فرنسا أو غيرها.. وبالتالي هذه النزعة القومية عند الفرنسيين خلقت حركات يمينية جاءت بهذا اليمين إلى الحكم هنا تتساوى النزعة القومية في الدولة العبرية مع النزعة القومية في فرنسا مثلاً وبالتالي يصبح عنصر الجذب متبادلاً، ولكن كون أن يهود الشتات يتم الاعتراف بهم كأفراد دون التمييز العرقي في المجتمعات المدنية إذن إسرائيل كعنصر جذب لن تصبح في هذه الحالة إلا إذا تماثلت في الحالتين.

الموضوع الخامس وهو موضوع مركزية إسرائيل لا أريد التطرق لها، الأخ الدكتور إبراهيم وهو أستاذنا في هذا الموضوع قد تحدث عنها بشكل مطول، لكن أريد أن أضيف إلى ما قاله نقطة مهمة أنه لا يمكن ولا لأي دولة من الدول التي يتواجد بها الشتات الإسرائيلي أن تكون بديلاً لإسرائيل كمركز لجذب اليهودية العالمية.

المحور السادس هو السياق الثقافي للمهمة الصهيونية، وبالتالي علينا أن نفرق كما فرقنا سابقاً ما بين يهود إسرائيل ويهود الشتات. وهناك مجموعة من الفوارق بين اليهودين في تلك المنطقتين، الأول أن هناك فرق في نمط التصرف السياسي في إسرائيل وفي الشتات، هناك أيضاً فرق في التكيف الديني ما بين يهود الشتات وما بين يهود إسرائيل، هناك فرق في مستوى المعيشة، هناك فرق في مستوى (التضحية) للدولة، هناك فرق في معرفة اللغة العبرية التي هي من أهم عناصر الصهر للمجتمع

الإسرائيلي وهناك أيضاً فرق في مستوى الإحساس المتزايد بما يشبه الذنب لكل طرف من الأطراف اليهودية. هناك مجموعة من الروابط التي تربط ما بين إسرائيل والشتات لا أريد الإطالة حولها لكن هذه المنظمات (United Jewish Appeal، إيباك، ومؤتمر الرؤساء) وباعتقادي أن هذه المؤسسات هي أفضل الوسائل للتدخل اليهودي في السياسات الخارجية لدول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة. لا شك في النقطة التي تحدث عنها الأخ د. إبراهيم أن هناك هيمنة ثقافية في موضوع العلاقة بين المسيحية واليهودية، ولكن واضح تماماً أن هناك فرق على الأقل نحن نعرف أنه في الولايات المتحدة عندما يكون حزب الجمهوريين في سدة الحكم مستوى النفوذ الصهيوني في المؤسسات الحاكمة في الحزب الجمهوري أقل إلى حد كبير من الحضور في الحزب الديمقراطي.

النقطة الأخرى في هذا السياق وهي مرحلة ما بعد الصهيونية، إذا كان النموذج الصهيوني القديم هو نموذج غير متجدد إذن إسرائيل ويهود الشتات يعيشون الآن في مرحلة ما بعد الصهيونية. وبهذا قال أحد المفكرين الصهاينة أنه إذا كانت الصهيونية هي دواء معين يجب تخفيف الجرعة في هذا الدواء. وبالتالي هذا الموضوع مرحلة ما بعد الصهيونية والصهيونية المتجددة هو من محاور النقاش التي تسود في أوساط اليهود والحركة الصهيونية. ولكن الهدف الشامل للصهيونية يبقى هو استكمال بناء المجتمع الإسرائيلي وقاعدته إسرائيل لكي تستطيع هذه الدولة الإطلاع بدورها كما يليق بدولة تليق بالشعب اليهودي الذي عانى على مدار الأزمان. واستكمال بنية دولة إسرائيل الديمقراطية الاستيطانية الاقتصادية والاجتماعية لكي تصبح الوطن القومي لجميع يهود العالم، في هذا الموضوع يقول ناحوم غولدمان: إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة بين الدول التي ظهرت في الخمسين سنة الماضية ولا تستمد من الحقيقة شيء بل تستمد كل واقعها من فكرة الحركة الصهيونية. وبالتالي العلاقة ما بين الصهيونية ودولة إسرائيل هي حقيقة الجدل الدائر الآن في إسرائيل وهي جدلية العلاقة ما بين الداخل والخارج في بداية إقامة الدولة اليهودية في عام 48 ومن هذه النقطة ولاحقاً أرجو أن نأخذ بعين الاعتبار الاسقاطات على الواقع الفلسطيني.

الصهيونية في الماضي كانت حركة شعبية نابعة من (Grants roots) ومن أهم رموز إنجازات الحركة الصهيونية هي إقامة دولة إسرائيل، وهنا نرى العلاقة الجدلية ما بين الحركة الصهيونية وما بين الدولة العبرية حتى في انتخابات الكنيست جميع الأعضاء الذين يتم انتخابهم أيضاً يتم ترشيحهم لقيادة الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية وبالتالي أصبح هناك علاقة متداخلة ما بين الدولة وما بين الحركة الصهيونية. ولكن السؤال المهم هل أهداف الصهيونية هي أهداف إسرائيل أم أن أهداف إسرائيل هي أهداف الصهيونية.

ذكر الأخ الدكتور إبراهيم أن بنغوريون خلال فترة إقامة دولة إسرائيل ذكر أن الرؤيا الصهيونية لم تكتمل بقيام الدولة بل أن الدولة كشفت العيوب إزاء استكمال البنية التحتية الديمغرافية والاستيطانية والاقتصادية، ولهذا دعا بنغوريون إلى ثلاث قضايا رئيسية أولاً أن يكون هناك هجرة واسعة لليهود العالم إلى إسرائيل، ثانياً لم يتم استيطان جميع أراضي إسرائيل وبشكل خاص النقب ولهذا طلب بنغوريون أن يهدف في منطقة النقب، والموضوع الثالث هو تطوير الاقتصاد العبري وتثقيف الجاليات في المنفى من أجل دمجها في إسرائيل. بنغوريون اعتبر أن هذه المهام هي ليست مهام الحركة الصهيونية، هذه المهام هي مهام بيروقراطية الدولة وبالتالي الحركة الصهيونية يجب أن تكون قد انتهت من خلال إنجازها وهو إقامة دولة إسرائيل. وبالتالي العديد من المفكرين الصهاينة مثل اليعازر شافيت (رئيس دائرة الفكر الإسرائيلي في الجامعة العبرية) الذي يعتبر أن التماثل بين الدولة والصهيونية هو أمر يجب أن لا يتم وهو أمر سابق لأوانه، رغم العلاقة العضوية طبعاً بين الصهيونية والدولة.

والخلاصة في هذا الموضوع أن دولة إسرائيل تحتاج وستبقى تحتاج إلى الحركة الصهيونية، والمشروع

الصهيوني لم ينتهي بقيام الدولة. ولكن حتى لو تم هناك تجديد لنموذج صهيوني جديد من الواضح تماماً أن الظروف الموضوعية العالمية التي خلقت النموذج الصهيوني في القرن التاسع عشر وما قبل الحرب العالمية الأولى هي ليست نفس الظروف التي ستخلق النموذج الصهيوني الجديد إذا وجد هذا الطموح.

طبعاً هذا نابع من أن مراكز الوجود اليهودية في المنفى سواء كانت بولندا أو روسيا والآن كما ذكرت في البداية أن معظم اليهود يعيشون في دول ديمقراطية ذات حضارة متساهلة تعتني بشكل أو بآخر بحقوق الإنسان وحقوق الفرد وغيره، وبالتالي أن المركز الجديد للجذب هو كما كان الدولة اليهودية وسيبقى هو الدولة اليهودية ولكن الحركة الصهيونية ستعمل على ليس هجرة واسعة ولكن على هجرة انتقائية لإسرائيل وبالتالي نحن نرى بشكل أسبوعي العديد من مليونيري اليهود الذين يحضروهم في جولات لكي يشاهدوا إسرائيل الكبرى وغيرها.... وفي هذا الموضوع يجب أن نميز بين مهام الدولة ومهام الحركة الصهيونية.

أولاً دولة إسرائيل والشعب اليهودي ونميز بين هؤلاء وبين المجتمع الإسرائيلي ويهود الشتات، وبالتالي شبكة العلاقات ما بين الوزراء وأعضاء الكنيست وقادة الجاليات وقادة الحركات الصهيونية والمنظمات الصهيونية يرى المصهاينة أنه يجب تجيير شبكة العلاقات هذه من أجل جمع الأموال وتوفير الدعم السياسي للدولة. وبالتالي كل جهاز يعمل بشكل مستقل ضمن الآلية وضمن الواقع الذي يعمل فيه هذا الجهاز. وبالتالي تعزيز الهوية اليهودية في الشتات وتعزيز العلاقة بين الدولة ويهود الشتات على المستوى الشعبي هذه تكون من مهام الحركة الصهيونية، أيضاً الهجرة والاستيعاب كما نعلم هجرة اليهود السوفييت هي كانت آخر الموجات الكبيرة ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم هناك تراجع في الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بل بالعكس هناك هجرة معاكسة، في بعض السنوات يكون عدد اليهود المهاجرين من إسرائيل إلى العالم أكثر من عدد اليهود المهاجرين من العالم إلى إسرائيل. وموضوع الهجرة مرتبط بشكل أساسي بموضوع الاستيطان، هناك اعتقاد في إسرائيل أن الجليل قد أخذ في الانفلات من أيدي اليهود وأن غور الأردن رغم وجود 35 مستوطنة إسرائيلية في منطقة الغور إلا أنه لا يزيد عدد المستوطنين فيها ما بين 5-7 آلاف مستوطن، وأضف إلى ذلك النقب الذي لا يوجد فيه أكثر من منشآت عسكرية وعلى رأسها ديمونا وبالتالي موضوع الاستيطان يبقى مهمة أساسية من مهمات الحركة الصهيونية. المهمة الثالثة وهي علاقة الدولة بالمحيط الفلسطيني والعربي، وهذه ليست من مهام الحركة الصهيونية ولكنها من مهام الدولة ويأخذنا ذلك إلى عملية السلام. ما هو مطروح الآن في عملية السلام هو ليس كيانية فلسطينية، ما هو مطروح الآن ضمن رؤيا الليكود (أنا لا أريد أن أدخل في التمييز ما بين حزب الليكود وحزب العمل إلا في نقطتين أساسيتين) حزب العمل ينادي بوحدة شعب إسرائيل وعلى هذه الأرضية جاءت مناداة حزب العمل بموضوع الفصل ما بين الشعبين، وعلى هذه الأرضية جاءت إمكانية الطرح السياسي من قبل حزب العمل أن الدولة الفلسطينية ممكنة، على الجانب الآخر موقف الليكود في هذا الموضوع أن الليكود ينادي بوحدة أرض إسرائيل وبالتالي بالنسبة لنتنياهو هو 0.1 % تفرق. المطروح الآن سياسياً باعتقادي هو ليس حجم الانسحاب سواء كان 30 % أو 60 % أو 70 % المطروح هو تقسيم الضفة الغربية بغض النظر عن النسب المطروحة، هذا هو البرنامج السياسي المطروح، المطروح أيضاً تقاسم وظيفي وهذا ما تقوم به الدولة للصالح العام، تقاسم وظيفي في الضفة الغربية ما بين ثلاث جهات إسرائيل والسلطة الفلسطينية والأردن مع بقاء قطاع غزة كيان سياسي مستقل أخذاً بعين الاعتبار أن الترتيبات الأمنية التي تجري في قطاع غزة تختلف بشكل تام ومطلق عن الترتيبات الأمنية التي تجري في الضفة الغربية، كل واحد منا يعرف أنه مثل ما في الضفة سلاح في القطاع موجود سلاح لماذا السيارة التي تخرج من غزة ترفع على الجك بينما السيارة التي تخرج من الضفة إلى تل أبيب لا يجري عليها أي تفتيش. لا يوجد أي منطق، إلا أن نقطة إيريز هي نقطة حدودية رسمية حسب اعتراف الواقع كما تمارسه إسرائيل على الأرض.

النقطة الأخرى في موضوع علاقة إسرائيل بالمحيط أن الناتج المحلي الإجمالي لإسرائيل بعد عملية السلام بلغ أكثر من 97 مليار دولار، بمعنى أن خمسة مليون يهودي في إسرائيل ينتجوا أكثر مما ينتجه 130 مليون عربي، بمعنى أن الناتج المحلي في إسرائيل أكثر مما ينتجه 62 مليون مصري والأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق بدون نفط. وبالتالي انتقل موضوع العلاقة ما بين إسرائيل ودول المحيط من النظرة الكلاسيكية الأمنية إلى النظرية الأمنية الاقتصادية التي قادها بيريس تحت ما يسمى بالشرق الأوسط الجديد والشرق الأوسط الجديد كما تراه الدولة العبرية يتركز إلى أربع ركائز أساسية التي عبروا عنها بما يسمى (Four Ms) وهي "Money" بمعنى أن رأس المال عربي خليجي، "Muscle" بمعنى "العضلات" هي أيدي عاملة رخيصة أردنية فلسطينية لبنانية سورية، "Markets" بمعنى "أسواق" وهي منطقة الخليج والشرق الأوسط ككل، و "Minds" بمعنى "عقل" وهي التكنولوجيا التي على إسرائيل أن توفرها. هذه هي الرؤيا الاقتصادية الأمنية التي تريد الدولة أن تستبدل النظرية الكلاسيكية الأمنية.

في نهاية هذه النقاط إذا أردنا أن نتحدث عن الصهيونية والدولة لا بد لنا أن نتطرق للعلاقة ما بين الداخل والخارج، مجموعة النقاط التي أثّرت في هذه المداخلة تعكس بشكل أو بآخر حالها على الواقع الفلسطيني بين الداخل والخارج، بين السلطة والمنظمة، بين الشتات الفلسطيني وعلاقته بفلسطين، والخاصة أن دولة إسرائيل هي عبارة عن مغامرة صهيونية والمشروع الصهيوني هو عبارة عن فكرة لا تستند إلى حقيقة وأن فلسطين هي عبارة عن حقيقة تريد أن تتجدد لها الفكرة. وشكراً

أبو نزار: شكراً للأخ الدكتور محمد شتوية الذي أضفى في محاضراته المختصرة كما يقول وهو حقيقة كنا نتوقع أنه يستطرد لكنه وضع نقاط أساسية للنقاش.

لو كان هناك صهاينة يريدوا أن يفتحوا مشروع مثل هذه الندوة كان يمكن أن يكون عنوانهم "الثورة الفلسطينية وتطلعاتها المستقبلية" وشيء طبيعي نلاحظ أنهم يطرحوه كل يوم، وهذا ما نلاحظه بتثبيت نتائجه حول الميثاق. الميثاق هو ضمير الثورة الفلسطينية الذي لا يزال يؤرقه رغم قرارات، المجلس الوطني... وكل ذلك، لكنهم يشعروا أنه لا يزال يسري كالتسغ في ضمير الإنسان الفلسطيني، لذلك هم يركزوا إلى ركائز الحركة الصهيونية. وركائز الحركة الصهيونية التي سيطبقونها مستقبلاً.

ما تحدث عنه الإخوان كان أساس هذه الركائز، وما قاله بنغوريون بعد أن حقق الدولة قال: الصهيونية هي الهجرة، والهجرة هي الصهيونية، ومن لا يهاجر ليس صهيوني. إذن فيما يتعلق بهذا الموضوع اليهود الموجودين في العالم، والذين بنظر بنغوريون ليسوا صهاينة هم أكثر من ثلاثة أرباع اليهود، من 16 مليون فقط 4 ملايين موجودين على أرض فلسطين، وبالتالي واضح جداً أن هذا المشروع لم يحقق إلا هذا الجزء منه مما يدل على فشل حتى هذه النقطة، وأن خطورة ما طرحه الأخ إبراهيم حول المنجم القادم بعد فشل المنجم السوفييتي، والذي إذا درسنا طبيعته على الأرض بشكل أو بآخر. المنجم السوفييتي ليس كما كانوا يتوقعوه، ولكن حقيقة حتى داخل إسرائيل خلق لها مأزق. الآن الخطر هو هل هناك إمكانية لخلق المنجم الإسرائيلي الذي يمكن أن يأتي نتيجة يهود أمريكا، هذه نقطة، والنقطة الثانية في أركان الصهيونية، أن الحدود حيث تصل أقدام الجنود، اليوم صار هناك تغيرات ومن أسوأ هذه التغيرات الحدود التي وضعها اتفاق أوسلو، حدود شرق الأردن والمعاهدات التي حصلت، أطماع الحركة الصهيونية حول أقدام جنودها، يمكن أن هناك مشكلة بالنسبة لهم، والأخطر من ذلك أن الكيان الصهيوني والحركة الصهيونية قامت على نقطة ثالثة وركن أساسي وهو نفي الأغيار، أي أن الشعب الفلسطيني ليس له وجود، وعندما كانوا يقولون أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، الآن حقيقة على أرض الواقع أن هذا الركن الثالث من أركان الحركة الصهيونية ينهار الآن....، هذا فقط توضيح لرؤيتنا معاً ونحن ناقش ما طرحه

الأخوين، حتى نفكر من منطلق هذه الرؤيا فيما يجب أن نفعله لنثبت وقائع إيجابية تحققت لنا على الأرض كاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني، اعتراف بقرارات الشرعية الدولية والتي هي سلاح لنا، مثلما هم يستخدمونها سلاح كما شرح الدكتور إبراهيم، كيف نستخدمها نحن كسلاح وكيف تكون طريق المواجهة؟؟.. الآن نفتح باب النقاش حول ما طرح من الإخوان.

الأخ عزام الأحمد: في ضوء الطرح الجريء الذي طرحه الدكتور إبراهيم أبو لغد، ومسألة قضية يمكن أن كثيرون منا يفكرون بها، ولكن لم نتجرأ أن نطرحها ونتداولها بشكل معلن، وهي تجاهلنا لليهود كأمة، أنه بدأت عملية تكوين الأمة تأخذ حيزها على الواقع، وأيضاً بغض النظر من أي منطلق أسماه الاستقلال الذي حصلوا عليه طبعاً بوجودهم في فلسطين. ما أريد أن أقوله أنه في ضوء أن العالم والمقوانين والأعراف الدولية تتعامل مع الشعوب ومع الأمم وحققها في تقرير المصير، والاعتراف بهذه الحقوق. في ضوء ذلك أي الحقيقة التي وصل لها الدكتور إبراهيم، بالمقابل ما هو مصير التطلعات الفلسطينية وتحديد قضية العودة؟ هل يكون طرح هذا الشعار واقعياً، وهل يمكن أن يجد صدى له في العالم أمام أمة موجودة أصبح لها استقلال على نفس الأرض، التي نحن نفس التطلعات موجودة في ذهننا، أي كيف نقرر أن نخلق تفاعل مع العالم لكي يتعامل مع الحقيقة التي نسعى لتحقيقها، وشكراً.

الأخ يحيى خلف: انطلاقاً من كلمة قالها دكتور شتية، أن إسرائيل فكرة لا تستند إلى حقيقة، أنا فعلاً أناقش وأتساءل مع د. إبراهيم أبو لغد بالمسألة التي قالها "أن الحركة الصهيونية أو اليهود أمة" وتبنى هذه الفكرة، وأنا أحب أن أقول أنه يمكن الآن اليهود عندما يقيمون في إسرائيل 50 سنة وكمكان 50 سنة يمكن أن يصبحوا شعب ويكونوا أمة، ولكن عندما طرح هرتسل الفكرة لم تكن الصهيونية أمة ولم يكن هناك شعب اسمه الشعب الإسرائيلي، وهذه قضية خطيرة... أخشى أن نسلم بأن اليهودية كانت تشكل أمة، وفي الحقيقة كانت حركة استيطانية يجمعها الإحساس العالي بالاضطهاد الأوروبي أو غيره، وأحب أن أذكر بأنه حتى الأمس القريب كان العالم كله يعتبر أن الصهيونية حركة عنصرية وشكل من أشكال التمييز العنصري، ولم تتغير هذه الصورة إلا عندما تدخلت أمريكا، وأحب أن أقول أن كل يهودي يحمل الآن جنسيتين، جنسية إسرائيل وجنسية الدولة أو الوطن الذي ينتمي له، وأنا تعبير "يهود الشتات" يسبب لي حساسية أي أنه كما لو كنا نسلم فعلاً بأن اليهودي الأمريكي هو يهود شتات غير قادر أن يعود إلى وطنه أو بلاده، لذلك أتمنى أن نعيد النظر في هذا التعبير وأن لا نستعمله. ولو نظرنا الآن هل الشعب في إسرائيل أمة أو غير ذلك، يمكن أن نقول أن هناك يهودي شرقي وغربي وروسي وأثيوبي مثلما يوجد عرب من أبناء الشعب الفلسطيني الصامدين، وأنا أقول بالنسبة لليهود كل يهودي جاء يحمل ثقافته، ولا أعتقد أنه حتى الآن أصبح هناك الخبرة التاريخية التي تحدث عنها الدكتور، لأن لا تاريخ لهم حتى يعملوا خبرة تاريخية حتى الآن. فيما يتعلق بالتحديات التي ذكرها الدكتور فعلاً كيف نتعامل مع إدارة متوافقة ومنسجمة في تأييد إسرائيل؟ سؤال على جانب كبير من الأهمية، يمكن صورة إسرائيل هي صورة أمريكا لأن أمريكا أيضاً هي مجتمع استيطاني (كان هناك هنود حمر ومثلما الآن في أستراليا أيضاً استوطنوا هناك) يمكن أن تكون إسرائيل تعيد إنتاج صورة أمريكا لذلك هناك هذه الجذور المشتركة بين التجريبتين. الهجرة الأمريكية إلى إسرائيل فعلاً أنا رأيت غمامة سوداء قادمة، هذا الموضوع جديد علينا وكنت أتمنى فعلاً أن يتوسع الدكتور إبراهيم في هذه النقطة بالذات، ومن التحديات التي يمكن أن تضاف، أن التحدي القادم هو كيف نقاوم تكييف العالم، أي العالم إما أن يرغب إسرائيل على الالتزام بقرارات الشرعية أو يتكيف مع توجهات إسرائيل في كسر قرارات الشرعية الدولية وكسر القانون الدولي المعاصر، هذا تحدي من التحديات ولكن يبقى التحدي الأكبر هو مسألة صراع النوع

الإسرائيلي مع الكم العربي، صراع التقدم مع التخلف، هذه المسألة الأساسية وهي مفتاح الموضوع كله وشكراً.

الأخ أحمد المجدلاني: أثار الدكتور أبو لغد إشكاليات بحاجة إلى نقاش وفحص دقيق. المسألة الأولى فيما يتعلق بموضوع هل اليهود أمة أم لا، ونشوء الحركة الصهيونية كحركة قومية في ظل صعود الحركة القومية في أوروبا لم يكن فقط في ظل هذا الصعود وإنما في ظل صعود الرأسمالية وتحولها إلى إمبريالية، وهذا مؤثر مهم في تاريخ الإنسانية لأنه لولا تطور المجتمع الرأسمالي وتحوله إلى إمبريالية لما استطاعت الحركة الصهيونية من التعايش وتوظيف طاقاتها وقدراتها في المجتمع الدولي ومن ثم الانخراط في الحياة السياسية الدولية التي تتحول إلى جزء فاعل منه ولتؤثر في المنطقة العربية. الحركة الصهيونية نسجت تحالفاتها على ضوء هذا التطور على ضوء هذا الانتقال في الحياة والمجتمع البشري وبنت وصاغت تحالفاتها عند الحرب العالمية الأولى حيث انتزعت وعد بلفور، ما بين الحربين انحازت إلى معسكر الحلفاء المعسكر الديمقراطي الرابع، بعد الحرب العالمية الثانية أي في الحرب الباردة انحازت إلى المعسكر الإمبريالي وبنت نظريتها ووجودها في فلسطين عن الدور الذي لعبته في خدمة المصالح الإمبريالية في المنطقة، بعد انهيار القطبية الثنائية إسرائيل أيضاً افتعلت لنفسها دوراً جديداً في مواجهة التطرف واختلقت أيضاً معركة جديدة في العالم والمنطقة في مواجهة ما أسموه التطرف الأصولي والديني، إذن دائماً في سياق التطور التاريخي كانت الحركة الصهيونية تجد لنفسها دوراً يبرر وجودها وبنفس الوقت تستمد فيه قوتها.

الأمر الآخر فيما يتعلق بهل اليهودية قومية أعتقد أن هذا الموضوع كان ولا زال موضع نقاش منذ أن طرحت الحركة الصهيونية نفسها كحركة قومية وادعت أنها تمثل أمة في الوقت الذي كانت الرأسمالية صاعدة فيه وتحولها إلى الإمبريالية، كان أيضاً في نفس الوقت هناك تحول في اتجاه الفكر الاشتراكي العلمي واعتبر في ذلك الوقت وفي ذلك التحليل أن اليهود ليسوا أمة، وفيما بعد تطور هذا المفهوم واعتبر بعد قيام إسرائيل أن إسرائيل أمة في طور التكوين استناداً إلى العامل الاقتصادي في نشوء وتطور الأمم وليس استناداً إلى العامل الأيديولوجي أو الديني في نشوء وتطور الأمم. أعتقد أن هذا الموضوع بحاجة إلى نقاش وبحاجة إلى التدقيق في موضوع الأمة ولو كانت فكرة جريئة كم يوظفها الإسرائيليون وكم تنجح الحركة الصهيونية في ذلك، هذا الموضوع الحقيقة أمر مختلف. ما هي الآفاق المستقبلية على ضوء هذا التطور التاريخي فيما يتعلق بالحركة الصهيونية وتطور العالم في سياق الانتقال إلى ما بعد الثنائية القطبية والانتقال إلى القطب الواحد هذا أيضاً بحاجة إلى التدقيق والنظر فيه ليس من زاوية دور الحركة الصهيونية وفي القلب منه إسرائيل وإنما دور حركة التحرر العربية وفي القلب منها حركة التحرر الفلسطينية مما يؤدي إلى تحقيق الأمان والتطلعات الفلسطينية لبناء دولتهم وحق تقرير المصير، وشكراً.

الأخ ملوح: سأنقش في الحقيقة عناوين، العنوان الأول الذي أشار إليه باستفاضة الدكتور أبو لغد وأشار إلى قدرة القيادة الصهيونية والحركة الصهيونية على وضع نفسها دائماً في مركز القرار الدولي، ويربط مصطلحتها مع مصلحة القرار الدولي عبر تطور الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية والحرب الباردة. هذه المراحل الأساسية التي استطاعت دائماً أن تضع نفسها في مركز هذا القرار وربط مصطلحتها في هذا القرار، الجانب الآخر الذي يجب أن نشير إليه أن الحركة الصهيونية وإسرائيل هي مصلحة لحركة الاستعمار، أي أن إسرائيل كانت مكونة من المصلحة الاستعمارية والإمبريالية في المنطقة ولذلك كانت ترى الحركة الاستعمارية والإمبريالية في نفوذ إسرائيل ووجود إسرائيل وقوة إسرائيل جزء مكون من مصطلحتها الذاتية وليس شيء آخر في هذا الجانب. ارتباطاً بهذه الملاحظة نرى في

منطقتنا الآن وجود مصلحتين لأمريكا إسرائيل والنفط، أي هناك مصالح محددة لأمريكا، مصلحة بقاء إسرائيل قوية ومسيطرة، ومصلحة النفط والأسواق.. الخ. السؤال الذي أحب أن أشير إليه - إسرائيل استطاعت دائماً أن تضع نفسها في فترة قيادة حزب العمل في ظل التطور الإسرائيلي إلى اليمين وقيادة الليكود... إلخ، وتقديم الأرض على السياسة وهذا برز والتناقض الذي أشار إليه د. اشتية حول شمعون بيريس ونظرية الشرق أوسطية والتي جاء نتياهاو رفضها كلياً وغلب قضية الاستحواذ على الأرض بالنسبة للفلسطينيين على الدور الإقليمي الاقتصادي السياسي في هذا الموضوع أو بتقديري يمكن أنه اعتقد بأن يستحوذ على الاثنين معاً، لا أعرف الآن، على الأقل أعطى الأولوية للأرض بالنسبة للفلسطينيين وبالنسبة للجولان، ألا يمكن رؤية إمكانية تناقض يمكن أن يحصل فيما بين المصلحتين في مرحلة مقبلة؟

الملاحظة الأخرى يجب أن أشير بمعزل عن ان إسرائيل أمة أو غير أمة، اليهودية أمة أم لا، هناك أمة ظالمة وأمة مظلومة، في كل التاريخ أيضاً أنا لا أريد أن أدخل في نقاش في طور التكوين أو الفكرة أو الخبرة أو الدين أو الأرض... الخ، بعد ذلك الواقع القائم هناك أمة أريد أن أعترف بها كأمة لكنها أمة ظالمة، وهذا له مترتباته، وهناك أمة مظلومة هو الشعب الفلسطيني في هذا الواقع.

الإسرائيليون يسعون إلى الهجرة الشاملة، في صلب هذه الهجرة يمكن أن يكون هجرة انتقائية، أي في صلبها يمكن أن يصلوا إلى علماء و رؤوس أموال، أي هم يريدون هجرة شاملة ولكن في صلب هذه الهجرة هم معنيين بنوعية من المهاجرين، أي معنيين بأولوية في نوعية المهاجرين في هذا الموضوع.

النقطة الأخرى أنا أعتقد أن الصهيونية وبمعزل عن كل الجدل الذي يدور بين المفكرين الصهاينة، ما بعد الصهيونية.. والصهيونية انتهت أغراضها.. ووظائفها... الخ، أنا أعتقد أن الصهيونية لا زالت ومشروعها لا زال وإسرائيل ستبقى صهيونية لأنها قائمة على هذه الفكرة. وإذا زالت هذه الفكرة يعني أنه تغير شيء كثير في هذا الموضوع، أي أنه إذا زالت الفكرة الصهيونية من العقيدة ومن البناء الإسرائيلي معناه أنه سيفتح المجال لبحث آخر كامل مختلف كلياً عن الأبحاث القائمة.

ملاحظة مهمة يجب أن ننظر لها في المستقبل، ليس من السهل إعادة إنتاج أمريكا في منطقتنا، أي صورة أمريكا ولا صورة أستراليا في منطقتنا، بمعنى إفناء الشعب الفلسطيني وإقامة دولة وشعب على أنقاض هذا الشعب كاملاً، لمجموعة من العوامل الديمغرافية، والمكون الفلسطيني. لقد أشار الدكتور أبو لغد لجانب الوجه الآخر أي اليهودي بوجهه الفلسطيني (عقوياً للتعبير) أي الفلسطيني أيضاً له وجه آخر في الخبرة والصمود... الخ في هذا الجانب، ولا زال عبر المائة سنة، ويمكن أن ذلك هو أحد إشكاليات طبيعة الموضوع الصهيوني نفسه في هذا الجانب. وبالتالي ليس من السهل إعادة إنتاج مشروع أمريكا ولا أستراليا في هذا الموضوع، وقد أصل أنه ليس من السهل على مدى تاريخي معين إعادة إنتاج مشروع الجزائر أيضاً بنفس الطريقة، ولهذا السبب أنا أرى أننا نحن عند الحديث عن العملية السياسية، نحن في هذه المنطقة في اشتباك حقيقي لرسم حقيقة جديدة قد تكون حقيقة فلسطينية يهودية دولة ديمقراطية في المستقبل. ولا حل تاريخي للصراع دون هذه الحقيقة. كيف ستتجلى في المستقبل، آليات الصراع وأشكال الصراع الدائم المستقبلي هي التي تحددها. ويجب أن ننظر لأي تسوية بالمعنى الراهن وبميزان القوى الراهن وبالشروط الراهنة مهما كانت ظالمة ومجحفة هي مؤقتة لأنها لن تحدد معالم التسوية الشاملة والنهائية في المنطقة وشكراً.

الأخ أبو ليلي: في الواقع أريد أن أضم صوتي للأخ أبو الهيثم في التساؤل حول الأسباب التي تدعو الدكتور إبراهيم أبو اللغد إلى التوقع أن تكون موجة الهجرة القادمة هي من يهود أمريكا، هذه نقطة مهمة

جداً وحقيقة مفاجأة وكان مفيد أن يجري توضيح لها.

أعتقد أنه ليس من الدقيق القول أن الحركة الصهيونية هي حركة قومية أوروبية لا تختلف عن غيرها من الحركات القومية الأوروبية، أنا أعتقد أن الصهيونية هي حركة قومية زائفة، بالمعنى التالي أنها تحاول أن تصبغ غلالة أيديولوجية قومية على أهداف سياسية وتوجهات لا تعبر عن حقيقة قومية في وقت انطلاقها. الحركات القومية الأوروبية كانت في الواقع هي محاولة لتشكيل أمة بمعنى لتشكيل سوق رأسمالية، وطنية موحدة ومستقلة. بدون الأرض واللغة لا يمكن أن يكون هناك أساس لحركة قومية حقيقية، بدون أرض ولغة لا يوجد سوق رأسمالية وطنية، ومعظم الحركات القومية في أوروبا الغربية بالتحديد لم تكن حركات تنزع نحو الاستقلال بقدر ما كانت حركات تنزع نحو توحيد الأمة المجزأة بحكم التجزئة الإقطاعية. هكذا كان الأمر في بريطانيا إذا استثنينا أيرلندا، هكذا كان الأمر في فرنسا، في أسبانيا، ألمانيا، إيطاليا. شرق أوروبا موضوع آخر وهو البيئة التي نشأت فيها الحركة الصهيونية كحركة جماهيرية وليس كقيادات. وهي في الواقع كانت تسعى إلى عكس ما كانت تسعى إليه الحركات القومية الأوروبية كما شاهدناها في غرب أوروبا. الحركات القومية الأوروبية كانت تسعى نحو التجانس المجتمعي للأمة في الوقت الذي قامت فيه الصهيونية على رفض التجانس أي رفض الاندماج للأقلية اليهودية في المجتمع الرأسمالي المتكون لأن الفئات الوسطى اليهودية التي تشكل غالبية الطائفة اليهودية كانت تخشى هذا الاندماج وهذا التجانس الذي يمكن أنه شكل لفترة طويلة من الزمن لنصف قرن تقريباً طموحاً، أصبح قابلاً للتحقيق فقط عندما تداخل، تجانس، واقترب بحاجة عدد من الدول الكبرى وتحديدًا في ذلك الحين بريطانيا، إلى استخدام هذه الحركة كموطئ قدم (كأداة) في عملية اقتسام وإعادة اقتسام العالم التي كانت جارية في مرحلة (التحول الإمبريالي للرأسمالية) في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في حينها بدأت هذه الأفكار الصهيونية في الواقع تجد قدرتها على التحول إلى واقع. هذا لا يعني أن المشروع الصهيوني هو مجرد فكرة لا تستند إلى حقيقة، لأنه منذ ذلك الحين وحتى الآن استطاعت هذه الحركة الصهيونية أن تخلق وقائع جديدة على أرض فلسطين مما لا شك فيه أن هناك عملية تكون قومي جارية ليهود إسرائيل، لا أقول لليهود بشكل عام، ويجب أن نميز ما بين اليهود بشكل عام يهود العالم، وما بين يهود إسرائيل الذين تجري عملية تحولهم فعلاً إلى أمة من خلال الحركة الصهيونية كعامل رئيسي، لكن أيضاً صهيونية عملية التحول هذه هي أيضاً تعرقل عملية التكون القومي هذه ونطبعها بصمات مشوهة كونها قومية ظالمة وغاصبة وتقوم على أنقاض حقوق شعب آخر أو قومية أخرى.

النقطة الأخيرة التي سأشير إليها سريعاً، أعتقد أنه من الممكن أن نرسم استراتيجيات أو توجهات تقوم على إمكانية الحلول فلسطينياً أو عربياً محل إسرائيل في سياق ما يسمى بعملية العولمة الجارية المقادة من قبل الأمريكان. إذا كانت أمريكا أو أي رأس مال احتكاري عالمي بشكل عام تريد قواعد لها، قواعد ليس فقط أمنية استراتيجية، وإنما أيضاً اقتصادية، فالقواعد المرشحة لأن تقوم بهذا الدور هي القواعد الأكثر تطوراً من الزاوية التكنولوجية ومن زاوية البنية التحتية، وهذا قانون معروف أن ال (Capital intensive) عادة تتوجه إلى البلدان المتطورة وليس إلى البلدان النامية أو البلدان المتأخرة في سياق عملية العولمة، لذلك كثير من عملية تصدير رأس المال مثلاً تذهب في اتجاه البلدان الأكثر تطوراً وليس باتجاه البلدان الأكثر تخلفاً، وهذا يحكم أيضاً التوجهات الأمريكية وغيرها في منطقتنا إذا عملية توجه رأس المال إلى منطقتنا بالدرجة الرئيسية سياخذ إسرائيل وهذا ما كشفته الأربع سنوات الأخيرة منذ أوصلو، الآن العملية تأخرت قليلاً أو تعطلت بسبب عدم الاستقرار الناتج عن تعطل عملية السلام. لكن في الثلاث سنوات التي عقت أوصلو، توجه الاستثمارات الدولية نحو المنطقة كان بالدرجة الرئيسية موجهاً نحو إسرائيل وهذا ينسجم مع القانون العام لما يسمى بالعولمة وتصدير رأس المال في سياق عملية العولمة.

الأخ أبو محمد: ما أريد قوله أن مسألة الصهيونية ومشروعها، فعلاً له علاقة بالتطور الذي حدث في

العالم ليس فقط من ناحية الفكرة القومية ولكن من ناحية النظام الاجتماعي الاقتصادي الذي حدث، وأن اشتغال نفس اليهود كحركات أو كفئات دينية في النواحي التجارية والمالية، واحب أن أذكر من درسوا قصة تاجر البندقية لشكسبير كان بها نموذج لعلاقة فئات من اليهود مع بقية المجتمعات في أوروبا، إيطاليا وفرنسا وبريطانيا....، مؤثر على نوع العلاقة والتي كانت تؤثر كنوع من الحذر على المعاملة التي بها الطمع والجشع...، شيء آخر أقدم من وعد بلفور، أنه حتى نابليون عندما حضر للشرق الأوسط هنا، أول ما دخل مصر، أول شيء فعله أصدر بيان لليهود أنه يريد أن يعمل لهم دولة في فلسطين، ليستفيد من وجود البقع اليهودية هنا... وهنا وهناك، لشد أزر حركة السلطة الفرنسية للتوسع في مختلف أرجاء العالم في الشرق الأوسط أو حتى في أوروبا، أي يستخدمهم لصالح أطماع الرأسمالية الفرنسية. وعند الحرب العالمية الأولى جاءت بريطانيا كأقوى دولة أيضاً وطلبت هذا الشيء وتوجهت بوعد بلفور حتى يكونوا كعامل مساعد لوجودهم المتناثر هنا وهناك أيضاً. ونفس الحركة الصهيونية التي بدأت تظهر بين الفئات العليا من الرأسماليين اليهود هناك، لتجنيدهم أيضاً لصالح قوة بريطانيا. في الحرب العالمية الثانية انتقل مركز القوة للولايات المتحدة، في النظام الرأسمالي، رأساً بدأت الصهيونية من خلال الحرب تتحالف مع أمريكا، أي كان عندهم مهارة بالاستفادة من تغير الأوضاع.

رافق هذا الظهور لفكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، معارضة لهذه الفكرة بين اليهود أنفسهم وإن كانت الصهيونية هي التي طرحتها، وأكثر نسبة للمعارضين لهذه الفكرة من يهود أمريكا، وأصدروا بيانات كثيرة وعقدوا مؤتمرات واجتماعات في معارضة هذه الفكرة، انطلاقاً من أن الوجود الديمقراطي والنظام الديمقراطي في أمريكا أو سويسرا وغيرها من تلك البلدان أفضل من أن ينغزل اليهود ويعيشوا في منعزل عن هذا العالم.

يمكن أننا كطرف فلسطيني وعربي، أنه أيضاً في مواقفنا السياسية الخاطئة بعد الحرب العالمية الثانية، ومشروع هيئة الأمم، ساعد هذا أيضاً وبشكل غير مقصود طبعاً على قيام إسرائيل كخطوة حاسمة، تطور مهم جداً في مصير الحركة الصهيونية، وعدم أخذ الواقع الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية في الأرض الفلسطينية وفي العالم بعين الاعتبار والإصرار أننا لا نقبل سوى اليهود المتواجدين في فلسطين سنة 17 والآخرين لا يهم أين يذهبوا. وهذا ما كان يجري وقتها. أنه لو كان هناك انتباه وذكاء وبعد نظر، ربما كان الوضع أفضل أن يكون دولة ديمقراطية في فلسطين (قرار التقسيم) مثلاً، أي الأخذ بالاعتبار الواقعية السياسية لأمرنا وسياستنا، شكراً.

الأخ وحيه: أنا أشعر بوجود أساتذتنا الفكريين وأساتذتنا أكاديمياً وأساتذتنا في النضال سواء كان عسكرياً أو سياسياً لم يبقى لدينا مجال للتعليق.

سأطرح سؤال: الدكتور إبراهيم قد أشار إلى الخبرة التاريخية التي هي أحد من مقومات نشوء الصهيونية وأحد مقوماتها وكان عامل مهم في نشوء الفكر الصهيوني فكيف أدى إلى قيام دولة إسرائيل. فيما بعد - الملفت للانتباه عندي - أن د. إبراهيم لم يلفت النظر إلى قدرة الصهيونية بالتنبؤ دائماً بمسار النظام العالمي الذي كانت تتنبأ به القوة الصهيونية دائماً وتتوجه له بدلالة أنه قبل الحرب العالمية الأولى ونحن نذكر كان هناك هدوء في مرحلة نشر الفكر الصهيوني لكن استغلوا فترة الاضطراب التي هي قبل الحرب العالمية الأولى وانتزعوا وعد بلفور. في بداية الثلاثينات بدأ يتجه وايزمن وبنغوريون إلى الولايات المتحدة وانتزعوا وعد بلفور من ملكة العالم في ذلك الوقت بريطانيا. وبعدها بدأ الاتجاه نحو الولايات المتحدة (أمريكا) كقوة عالمية منتظرة قبل أن يتذكر العرب أو حتى الآن نحن أين بدأنا نتذكر أن القوة العالمية المركزية هي أمريكا - يمكن نحن في آخر 10 أو 15 سنة - هذه القدرة على التنبؤ التي كانت موجودة لدى القوة الصهيونية.

ما يخيفني أنا وما يثير التساؤل عندي أين مكاننا الآن في ظل النظام العالمي بالرأس الواحد والذي يكن كل الولاء لإسرائيل (أمريكا). وما يخيفني أكثر أيضاً الهجرة التي تنبأ بها د. إبراهيم والذي سيكون عامل مشجع أي في البداية أوروبا كانت تريد أن تتخلص من اليهود شجعهم للهجرة إلى فلسطين الآن أيضاً هل هو عامل جديد أن أمريكا تريد أن تتخلص من اليهود الموجودين هناك. وتشجعهم على الهجرة إلى أرض فلسطين أو إسرائيل التي سواء اعترفنا الآن بقيامها أم لا...

السؤال هو ما المطلوب من فلسطينياً على أرض الواقع في ظل هذا المعطى أنه نظام عالمي يؤدي كل الدعم سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية السياسية لإسرائيل؟ ما المطلوب مني على أرض الواقع والذي يمكن أن أقوم به سواء على الصعيد الفلسطيني أو على الصعيد العربي؟... وشكراً.

الأخ تيسير: أنا أيضاً أتفق مع الرأي القائل أن الحركة الصهيونية لم تتشكل كحركة قومية شأنها شأن الحركات القومية التي ظهرت في أوروبا تحديداً الغربية في القرن التاسع عشر. بل هي تعبير عن حركة قومية زائفة والشواهد على ذلك كثيرة لا أريد أن أكررها. الخطورة في القول أن الحركة الصهيونية هي تعبير عن حركة قومية شأنها شأن غيرها، الخطورة أنني أقر وأن الشعب الذي يمارس عليه العدوان اليوم، يمارس ضده نفي الحقوق بشكل يومي، تمارس ضده سياسة الإحلال، والإحلال أعني... الاستيطان، أن نقفز للاستنتاج التالي أنها حركة قومية كغيرها من الحركات التي نشأت وبالتالي هي حركة تحرر قومي، أنا أخشى أنه إن لم نأخذ بالمقولة التي تحدث عنها - وأنا لا أعتقد أن د. إبراهيم يقصد ذلك - إذا أخذنا بها فقط من ناحية فكرية دون ربطها بالموضوع السياسي، أننا فعلاً نقع بالخطأ أنها حركة تحرر قومية ونتعامل معها على هذا الأساس. وذلك ليس من مصلحتنا ولا مصلحة الأجيال القادمة، وليس من مصلحته تسجيل التاريخ والتعامل مع التاريخ أن نقر بهذه الحقيقة أو بهذا الموضوع.

الموضوع الثاني وباختصار، يا ترى هل نحن أمام حركة صهيونية تتطور وتتكيف باتجاه يبشر بإمكانات التعايش معها في المنطقة أم أمام حركة عدوانية عنصرية تجر المنطقة والإقليم كله إلى كوارث قادمة؟؟ هذا سؤال مهم أعتقد أنه كان على الأخوين أن يضعوه كمحور للنقاش.

أنا أعتقد أن هذه الحركة كما هي بتعبيرها السياسي (دولة إسرائيل) لا تختلف كثيراً عن الحركة القومية النازية، العنصر الأيديولوجي طاغي جداً عندها - (ألمانيا فوق الجميع) ثم إلى جانب ذلك المجال الحيوي.... عندنا هاتان الفكرتان في الحركتين القوميتين - يهود فوق الجميع - أي التفوق أو الشعور بالتفوق، وثانياً المجال الحيوي، أنا أعتقد أنه علينا أن ندقق جيداً ونحن نفكر في كيفية التعامل مع هذه الحركة في المستقبل أي كيف سنبنّي وضعنا، سياستنا، تفكيرنا، فلسفتنا في الحياة، في التعامل مع هذه الحركة في المستقبل. طبعاً هذا لا علاقة له بالإقرار واقعياً، أننا في واقع تشكل هو دولة إسرائيل، وأنه في إطار هذه الدولة يتشكل شعب يهودي، هذا شيء والشئ الآخر أن هذه الحركة هل تتكيف باتجاه التعايش أم لا زالت عدوانية في جوهرها. نسمع في أوساطنا من يقول ((لا هناك تحولات مهمة جداً - منها مثلاً أنها اعترفت بكذا، وتقر بكذا...)) على كل حال هذا ليس جديداً في الحركة الصهيونية، أنا أذكر في الأربعينات (من قراءاتي) على الأقل في الثلاثينات والأربعينات كان هناك في الحركة الصهيونية (هيويل هتسوعير، ههستوت هعبودا، المباش، الشيوخين)، أيضاً يقولون كما تقول بعض الأوساط السياسية الصهيونية في إسرائيل. التيار المركزي في إسرائيل لا زال كما هو، عدواني عنصري، توسعي، خطر، وأعتقد في أي بحث في موضوع الصهيونية والعلاقة بين الصهيونية ودولة إسرائيل علينا أن نأخذ هذه القضايا المهمة بعين الاعتبار، وشكراً.

الأخ واصف: النقطة الأولى التي طرحها الأخ د. إبراهيم أبو لغد حول اليهود كقومية لن أدخل فيها

بالتفاصيل لأننا كلنا نعرف التاريخ، وبني إسرائيل وقوم موسى والعبرانيين كلها تؤكد على أنه لا يوجد قومية يهودية.

الآن لا زال مطروحاً في إسرائيل سؤال مركزي "من هو اليهودي؟"، لأنهم غير قادرين أن يحددوا من هو اليهودي.

الناس الذين يعيشون في إسرائيل غير قادرين على أن يخلقوا مجتمعاً منسجماً، بدليل أن الزيجات المختلطة في إسرائيل 3% فقط، أي قومية هذه التي 3% من الغربيين فقط يتزوجوا من الشرقيين.

اللغة كعامل في تكوين إسرائيل، الروس الآن مليون، الروس الآن عندهم إذاعات وتلفزيونات وصحف ومجلات ومدارس ويرفضوا أن يعلموا أبناءهم اللغة العبرية. المهاجرين الروس الجدد يرفضوا أن يعلموا أبناءهم اللغة العبرية، ومن يريد أن يتأكد أنا أريه ذلك.

موضوع الاستيطان، لا زال الاستيطان مشروعاً ولا زال مطلوباً. الاستيطان هو مشروع استثماري إسرائيلي وليس مشروع أيديولوجي "وجهة نظر". ومثال على ذلك مستعمرة (ياميت) التي حمل اليهود السلاح لكي لا يخرجوا منها في سيناء، مجرد أن ارتفع التعويض الذي قدم لهم تركوها.

الأخ الزريعي (أقدم سجين كان عندنا) تصريح له مثبت عندي أن السجناء قال له (وكان لا يزال معتقلاً) أنا اشتريت بيت في مستوطنة...، قال له أن الاتفاقية تقول سوف تتسحبوا منها، أنت تشتري والناس سوف تتسحب، قال له بالعكس أنا سأشتري لأنه في الغد سترتفع قيمتها.

فشل المشروع الصهيوني من أربع نقاط، نظرية العمل العبري التي تحدث عنها بنغوريون وقد فشلت صناعياً وتجارياً.

- أن إسرائيل دولة كل يهود العالم. الموجودين 4 مليون والباقي 12 مليون في الخارج.
- حدود إسرائيل حيث يقف جنودها، والتوسع. انسحبت من سيناء وانسحبت من أجزاء من الجولان والآن ستسحب من أجزاء من الضفة.
- الدولة النقية لليهود فقط أي أنها تريد أن تتخلص من كل من تسميهم "الغرباء" وهم نحن أهل البلاد الأصليين.

أخيراً المشكلة في نظري نشأت نتيجة معادلة دولية ولن تنتهي إلا بمعادلة دولية، حكاية الاقتصاد ليس هو الذي سينتهي المشكلة. في رأيي، نشأت بمعادلة دولية ولن تنتهي إلا بمعادلة دولية وفي هذا المجال نقول القاعدة القانونية التي تقول أن أي اتفاق هو حصيلة توازن قوى في لحظة معينة، فإلى أي حد نستطيع أن نخل بهذا التوازن وأن نخلق توازن جديد نكون قد وصلنا إلى الحل، وشكراً.

الأخ أحمد صبح: الحركة الصهيونية هي حركة عملية أكثر منها نظرية، أدبياتنا مليئة بالقول أن الحركة الصهيونية كانت لا تدعو أعضائها إلى اجتماعات مغلقة، إنما كانت تدعو أعضائها إلى حزم الحقائب والهجرة.

ما أريد أن أركز عليه، فقط هو الهجرة ومفهوم العمل الفلسطيني الدبلوماسي الخارجي تجاه هذه القضية. باعتقادي المتواضع نحن نفتقر حتى هذه اللحظة إلى التوجه السياسي إلى عملنا الدبلوماسي الخارجي للحد من الهجرة اليهودية باتجاه إسرائيل.

سأضرب مثلاً بسيطاً، في بداية عام 1982 عندما كنت سفيراً في المكسيك، كلفت بتقديم رسالة خطية

من الرئيس ياسر عرفات للرئيس المكسيكي، فعندما استقبلني اعتذر لي في البداية بأن برنامجه كان ما قبلي بالضبط موعداً مع مجموعة من رجال الأعمال المكسيكيين اليهود وبلغني أن أنقل للرئيس ياسر عرفات أن هذا موقفاً غير معاد لفلسطين وهو مضطر للتعامل معهم. تفاجأ جداً عندما بلغته أنه باسم الرئيس ياسر عرفات وباسم الشعب الفلسطيني أتمنى عليك أن تحسن استقبالهم وأن تحسن معاملتهم وأن تعطيتهم كل ما يمكن أن تعطيتهم إياه حسب القانون المحلي، فقال لماذا، قلت لا أريد أن يهاجروا إلى فلسطين فلو أسأت لهم لهاجروا إلى فلسطين. بهذا المثل البسيط أريد أن أقول أننا الآن بعد مسيرة السلام هناك كثير من سفاراتنا تعيش عدم وضوح في التعامل مع الطوائف والجاليات اليهودية في العالم، قد يكون الوقت مناسباً لأن نضع خطوط عريضة في هذا الجانب بالذات لأن التعريف القديم للصهيوني بأنه ذلك اليهودي الذي يدفع مالا لليهودي ثان ليقنع يهودي ثالث بالهجرة، لم يعد عملياً. هناك الآن عملية تستفيد من الأحداث الدولية وتحدثت عن الموجة السوفيتية والهجرة السوفيتية، إضافة إلى أمريكا هناك مليون يهودي في الأرجنتين، علينا أن ننظر لهذا الموضوع ونضع خطوطاً للحد من الهجرة باتجاه فلسطين إذا كان مشروعنا الوطني لا يزال بالطريقة التي طرحناها، وشكراً.

الأخ محمود: الإشكالية التي طرحها الدكتور إبراهيم وهي هل اليهود أمة، الخبرة التاريخية التي اعتمد عليها الدكتور على أساس تكوين الدولة المعتمدة على صناعة التاريخ اليهودي وبالذات على التوراة والعودة إلى أرض الميعاد. علماً أن هذه الفكرة أو الخبرة التاريخية، إذا عدنا إلى التاريخ وبالذات القرن التاسع عشر، هذه الفكرة تبنتها معظم زعامات بريطانيا، حتى أن أحد رؤساء وزراء بريطانيا من الناس الذين درسوا التاريخ التوراتي، وهم أحد زعامة الصهاينة في القرن التاسع عشر ولا زالوا حتى الآن.

حركة الاندماج في المجتمعات الأوروبية التي اعتمدت على اللا سامية، والخوف حالياً في هذا العصر، وعصر الأمريكان أن معظم الزوار في أوروبا يتبادر إلى ذهنهم بعض الأصوات والنداءات التي تكره اليهود. هذا الكره اليهودي حالياً هو الذي يدفع وأنا مع الدكتور، بأنه سيكون هناك في المستقبل إجراءات متكررة وبالذات من اليهود الأمريكان إلى فلسطين إلى أرض الميعاد علماً أن معظمهم من يهود الاتحاد السوفييتي والذين هاجروا في نهاية القرن التاسع عشر، وشكراً.

الأخ علي جرادات: لا غرابة في اعتقادي أن العديد من المداخلات علّقت على النقطة التي طرحها الدكتور الأخ أبو لغد بالقول أن اليهود حركة قومية، لأن الفكرة بصراحة جديدة، لماذا تستحق التعليق، هناك استتباعين، الاستتباع الأول سياسي، القول بأنها حركة قومية ذلك يعني أنها حركة تحرر، ثانياً أنا يمكن أن أكون واقعياً في السياسة وأعترف بدولة إسرائيل ضمن ميزان قوى معين لكن لن أكون واقعياً في التاريخ والثقافة، بمعنى لن أقول عن الزائف حقيقي، لكن هذا لا يعني طبعاً أنا لا أضع الأمر في تعارض لدرجة أن أقول أن إسرائيل غير موجودة كحقيقة على الأرض. هذا سياسة، أصبح هناك جدل داخل العقل الفكري الفلسطيني والعربي والعالمي إذا كانوا هم أمة في طور التكوين.....، هذا بعدما نشأت، أما القول بأن اليهود حركة قومية من البداية فهذا شيء بصراحة غريب وبرايمى تجني على التاريخ لأن الأمة كأمة إذا اعتبرناها شكل للوجود البشري هي ظاهرة حديثة تمايزها عن الحركات القومية أنها مجموعة بشرية من الناس ما تشترك بينها في عناصر عديدة، جوهرها الأرض واللغة والتكوين النفسي الذي ينصهر في عملية تاريخية طويلة (أما القول في التاريخ تعليم مدارس تقليدية) هذا ما افتقدت إليه الحركة الصهيونية وبالعكس هي سلبت أحد أهم العناصر وهو الأرض. أنا لا أريد أن أقول أن المغالطة الغيبية التي يمكن أن تنشأ في أي فكر أن إسرائيل غير موجودة، لا. الفكرة التي طرحها الأخ محمد أنها فكرة بدون حقيقة، هذا أيضاً كلام غير صحيح، لأن إسرائيل هي تجسيد مادي

للفكرة الصهيونية، هذا صحيح نعم، أما القول أنهم أمة من البداية فهذا مغالطة للتاريخ.

الأخت أم منهل: لا أريد أن أكرر ما قاله الإخوان حول ما طرحه د. أبو لغد، أن الحركة الصهيونية هي حركة قومية وإسرائيلية قوم وأمة، لأن هذا منزلق في الواقع خطير، والذي أخافني الأخ عزام عندما أكد أننا نحن نطرح هذا لكن خائفين أن نطرحه. فأهمية هذا الموضوع لأن المنطلقات الأساسية للعمل مهمة جداً لذلك إسرائيل تقترح علينا تغيير الميثاق، لأن الميثاق هو منطلق للعمل وهو يضع لنا خطط تحرك ومن هنا تأتي أهمية أن لا ننزلق نحن لكثير من المفاهيم الجديدة التي بدأنا نسمعها، لأنها تنسف جميع الأسس التي قام عليها تحركنا الفلسطيني وثورتنا ومن هنا أساسي جداً أن يكون واضحاً الفرق بين الفكرة وما بين تجسيد الفكرة. ما يخيفنا الآن هو تجسيد الفكرة الصهيونية على الواقع، ولا يهمني الحركات التي في الخارج والتحرك السياسي بقدر ما يهمني دراسة هذا الوليد الذي لا يزال يتعثر والذي لا يزال حتى يسرق كل ما لدينا من تراث ومن واقع ومن أرض، لأنه بدون وجود الأرض لا يمكن وجود أي أمة من الأمم. ولذلك عجزت هذه الحركة أو هذه الفكرة عن التجسيد إلا عندما أوجدت الأرض ولذلك هي تتمسك بالأرض.

السؤال الذي سأطرحه الآن ماذا عملنا من دراسة أو تحليل لهذا الواقع الذي أصبح الآن أمامنا، أنا أدعو الأخوة جميعاً والأخوة المحاضرين والأخ أبو نزار أن نفكر كيف نستطيع أن ندرس هذا الواقع. نحن نسمع أفكاراً متناقضة الحقيقة عن هذا الواقع، أنه هل القادمين من الاتحاد السوفييتي كلهم خبراء وعلماء ويؤثرون، هذا جاء عفواً لأنه في نفس الوقت نجد كثير من هؤلاء العلماء ومن النساء يشتغلون في الدعارة، ولا يجدون لقمة أكل، أنا زرت إحدى المواقع التي بها تجمع من الاتحاد السوفييتي على الواقع ولذلك أطلب دراسة هذا الواقع على الطبيعة وليس من خلال ما يطرحه الفكر الصهيوني أو الإعلام الخارجي أو الغربي حتى، ندرس هذا الواقع. أنا واجهت مجموعة من السوفييت بالصدفة كانوا عارفين أنني فلسطينية وأزور الموقع الذي ولدت فيه، يقول لي أحد اليهود أنتم تريدون هذه البيوت وأنتم لتزوروا بيوتكم. أريد أن أقول شيء أنا يهودي من تونس وأذهب إلى تونس دائماً وأستفيد أنا من وجودي هنا، قال لي هل ترين كل هؤلاء، أعطوهم قليلاً من النقود لا يتبقى منهم أحد. أنا واقعي وأنتم يجب أن تفهموا هذه الحقيقة.

أنا لا يهمني إن كان هذا يمثل شريحة كبيرة من طرح الفكر لكن يهمني أن أقول أنه علينا نحن كفلسطينيين بهذه المرحلة أن لا ننخدع كثيراً بالإعلام سواء أكان إيجابياً أو سلبياً وإنما نتوجه لدراسة هذا الواقع لأن أي خطة مستقبلية لنا أو أي فكر نطرحه سيقوم على دراسة هذا الواقع وتحليله، ما هي الامكانيات، لماذا الفلاشا الذين جاءوا من إفريقيا يذهبون للصلاة عندما يؤذن الجامع، نحن يهمننا تفكيك هذا الوليد وأن لا نعززه. ماذا نعمل حتى نقدر أن نفككه، الدراسات الواقعية. صحيح أن الحركة الصهيونية والسياسية والعالم والحركة الصهيونية أو هذه الفكرة استفادت من المعطيات العالمية التي كانت تاريخياً نمت، هي ليس فقط استفادت ولكن الإمبريالية العالمية استفادت ولا زالت تستفيد، لكي تبقى هذا السوط مسلطاً أو الفأس مسلطاً ليس علينا فقط كفلسطينيين وإنما على الواقع العربي ككل. أي المصلحة كانت متبادلة ما بين الإمبريالية والحركة الصهيونية، ولو أن الحركة الصهيونية كانت هي قومية أو أمة لما فكروا أنهم قبل أن يقرروا أنهم يريدون فلسطين كانوا قد قرروا أنهم يحتاجون مكان آخر لإقامة هذا الكيان. وبمقدار ما نحن نحاول أن نجد طريقة طبعاً ليس بشيء جديد كم نكون على الأرض نستطيع أن نعمل، وشكراً.

الأخ أبو فارس: إثارة هذا الموضوع يشكل لي سعادة خاصة، بالتحديد مسألة "القومية اليهودية" لأن هذا الموضوع في البداية كان مثار نقاش طوال القرن التاسع عشر، ونحن الفلسطينيون الشعب الذي يطبق هذا المشروع على جلده، نحن لم نكتب رأي، ولنا آراء كثيرة تلامس هذا الجانب أو ذاك من الفكرة. أنا أعتقد الخلاف الأساسي الذي دار بين هرتسل وبين ينتسر، ينتسر عندما كتب كتابه عام 1968 وهو طبيب (التحرر الذاتي) عديد من الباحثين يعتبرونه أنه المسودة الأولى لكتاب هرتسل وهناك باحثين يهتمون هرتسل أنه سرق معظم الكتاب باستثناء بعض الأفكار الأساسية عدلها. أهم خلاف في هذه النقطة هو ما يلي، ينتسر يقول أن اليهود هم ليسوا أمة هم في وضع قومي وحتى يصبحوا أمة لا بد أن تكون لهم دولة، هرتسل قال لا اليهود أمة من اليهود القدامى حتى اليهود المعاصرين. هناك خلافات أخرى هامة لا مجال لنقاشها.

ماركس قال نصاً كان مترجماً بشكل رديء عند الغيتاني القديمة، ترجمه إلياس مرقص في ترجمته الأخيرة للمسألة اليهودية، أن اليهودي عندما يدرك جوهر هذه الوظيفة التاريخية، الوظيفة الاقتصادية لليهود في أوروبا ينفضع شعوره القومي كالضباب التعب أمام الشمس أو أمام الصباح، بهذا المعنى.

النقطة الأساسية المطلوب بتقدير أن يتشكل لها مراكز أبحاث، هي رغبتنا نحن كفلسطينيين بأن يختفي اليهود وأن يغيبوا سواء كانوا قومية أو لم يكونوا، أن لا تكون حاجزاً أمام قدرتنا على التفكير الجدي الواقعي المحدد، أنا أعتقد أن هذه لا زالت أكبر عائق أمامنا بقراءة المسألة اليهودية من زاوية فلسطينية. هناك إجماع عند الباحثين عموماً وعند الناس أن اليهود بلا شك يجمعهم شيء، عندهم شيء قومي، بعد قومي، هل هم شعب؟ أمة؟ هذا موضوع لا يزال يبحث ويدرس. وهناك آراء كثيرة حوله، لكن وضع التفكير الرغوي الفلسطيني دائماً يدفعنا أن نميل إلى القضايا الفكرية التي تقلل من خصوصيتهم القومية أو خطورة الهجرة أو مستقبل الدولة العبرية الخ... أنا أعتقد أن النقطتين اللتان تحتاجان إلى بحث جدي لمزيد من التدقيق في هذا الموضوع، أولاً إلى أين تسير عملية تطور الرأسمالية الإمبريالية الحديثة في القرن الواحد والعشرين، لأن الصهيونية هي حركة الإمبريالية اليهودية، العامل الثاني الذي يحتاج إلى دراسة هي مسألة في أي مسار تتجه عملية الدمج القومي اليهودي في إسرائيل وخارج إسرائيل في العالم، التناقضات التي تبرز الآن في الأوساط اليهودية العالمية وفي إسرائيل أنا أعتبرها مجتمعة التناقض الثاني بتاريخ اليهودية، التناقض الأول بتاريخ اليهودية كان بنهاية القرن التاسع عشر حول فكرة أن يعملوا دولة أو يندمجوا، واختلفوا ثم نجحت في الدولة، من 15-20 سنة تبرز مجموعة تناقضات في مقدمتها العامل الفلسطيني الذي فشلت الحركة الصهيونية في تحويله إلى هنود حمر، أضف إلى ذلك علاقة اليهود الداخلية العلمانيين والمتدينين، علاقتهم بالخارج، مجموع الأسئلة الآن تتراكم أي الوسائل يريدون، ما هي علاقتها في المنطقة، هل السلام مع المنطقة يقدم ضريبة دولة فلسطينية، هذه الدولة هل يمكن في المستقبل استيعابها وتحويلها إلى شكل من أشكال الترانسفير مع بقاء شكل الدولة، مثلما قال د. أبو لغد أن لا نستبعد هجرة يهود أمريكا، بمعنى المركز اليهودي شكل في فلسطين، عملية تشكله قوية جارية وخطرة، وهناك بعد قومي لهذا التشكل، بعد خطير جداً، هم عدو قومي، منذ مائة عام يأتون يقاتلون ويستوطنون، وهم عدو ذكي، أنا أذكر في نقاش مع د. أحمد إقبال في بيروت أول مرة قابلته قال لي الغريب أنتم الفلسطينيون تواجهون عدو استراتيجيته العامة رجعية لكن تكتيكاته ثورية، أنتم استراتيجيتكم العامة ثورية وتكتيكاتكم رجعية.

بمعنى أن هذا العدو الخطير، اليهود ليسوا دولة صغيرة، اليهود عندهم مركز في إسرائيل هو مركز الإمبريالية اليهودية العالمية، هذه دولة عظمى، يقوى مسار الاندماج القومي مع القوة، كلما قوي هذا المركز كلما قوي الاندماج، وليس فقط يحضرون يهود أمريكا بل ويجنسسون أناس من جديد ويجعلوهم يهود، عدد اليهود في العالم أحد أكبر الأسرار للحركة الصهيونية. عدد اليهود في العالم يقل ويزيد بناء على تطور وقوة الحركة الصهيونية المركزية في العالم. أما نحن نقعد على حرير أن هناك عدد من اليهود الروس

عادوا بعضهم يعملون لا أعرف بماذا.. اليهود الروس أغلبتهم الساحقة على اليمين يقعون أيديولوجياً، وهم في موسكو في ظل الدولة السوفيتية كانوا منظمين ويصلوا لأورشليم ليلاً نهاراً.

نقطة أخيرة، الاستراتيجية الصهيونية أعتقد أنها دخلت المرحلة الثالثة، المرحلة الأولى كانت بالمركز، المرحلة الثانية إخضاع المحيط، المرحلة الثالثة السيطرة أو المشاركة في السيطرة.

الآن فشلت الحركة الصهيونية في تحويل الشعب الفلسطيني إلى هنود حمر، هناك مركز يهودي يريد أن يدمج اليهودية العالمية، وهناك مركز فلسطيني يريد أن يدمج الشتات الفلسطيني في وطن، هذا صراع، إن لم يتمكن الشعب الفلسطيني في القرن القادم من بناء حركة سياسية حديثة معاصرة فإن المخاطر الجدية ما زالت تهدد كل مستقبل الشعب الفلسطيني حتى لو كان لدينا دولة صغيرة، شكراً.

الأخ أبو نزار: مفهوم الناس للحركة الصهيونية مختلف ليس فقط بيننا نحن كفلسطينيين ولكن بين الإسرائيليين أنفسهم، ولذلك نحن بصدد عقد ندوة دولية في نهاية هذا العام حول الصهيونية، كيف ترى نفسها، كيف يراها الغرب، كيف تراها أمريكا، كيف يراها الإنسان الفلسطيني، كيف يراها الإنسان العربي، وبالتالي من حصيللة هذه الرؤيا كيف ترى من كافة الجوانب. انا أريد أن أتذكر كيف سقطت صواريخ الحسين على المناطق المحتلة 48 دون أن يكون هناك أي رد رغم أننا جميعاً نعرف أن إسرائيل كانت قادرة أن ترد، لأنه كان هناك أربعة شروط طلبها شامير من بيكر وبوش أنه مستعد أن يتحمل شريطة أنه بعد القضاء على القوة العسكرية في العراق أن يتم ما يلي: أولاً- انتزاع اعتراف من الأمم المتحدة الجامعة الأممية بأن الحركة الصهيونية هي حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي أي أنها قومية نضالية، ومن منطلق هذا الشرط هناك شرط آخر، أن منظمة التحرير الفلسطينية هي منظمة إرهابية لأنها تقاتل حركة تحرر وطني، إذا أقرينا أن الحركة الصهيونية هي حركة تحرر وطني للشعب اليهودي أوتوماتيكياً يجب أن تطرد تلك الحركة التي تقاتل ضد هذه الحركة. ثانياً - ثالث أمر بعد أن يقضوا على النظام في العراق يعملوا مسار ثنائي ومسار متعدد الأطراف ليس هذا المهم ولكن من حسن الحظ أنه عندما ذهب بوش وبيكر للأمم المتحدة لكي يبحثوا عن أصوات توافق على أن الحركة الصهيونية هي حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي وجدوا فقط 76 صوت فقط في الأمم كلها، لذلك اضطروا أن يعدلوه لكي تصبح نقيضاً للقرار الذي أخذ في 10/11/75 أن الحركة الصهيونية حركة عنصرية واعتبر هذا القرار الذي أخذ بمائة وعشرة أصوات، ولكن بنفس اليوم أخذ قرار آخر أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، لذلك حقيقة هذا الرد كان واضحاً جداً أن منظمة التحرير الفلسطينية التي الآن قبل ثلاث سنوات كان الحديث عند أي إسرائيلي "منظمة التحرير ما هي؟" اليوم يعتبرها ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. إذن الأمور في تطور من هنا كان مدار هذه الندوة. والندوات القادمة هي تطلعات كيف نستطيع أن نرى الصهيونية كما يرونها هم وكما نراها وكما يساعدنا ذلك لوضع خطط لمواجهةها.

الردود

الأخ د. إبراهيم أبو لغد: الأخ أبو فارس والأخ أبو منهل أعفوني من الكلام لأنهم قالوا الصحيح. لكن أريد أن أقول كلمتين، الشيء الأول الحركات القومية التاريخية في القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين الأوروبية لم تكن حركات تحرر وطني ولم يقتربوا بموضوع التحرر الوطني مطلقاً، هي كانت حركات استقلال وانسلاخ أو تجميع من شيء أكبر. حركات التحرر الوطني هي من ظواهر القرن العشرين في العالم الثالث فقط. وهي حركات حتى في مفهومها الغرب لا يريد أن يقرها، الغرب يستطيع

أن يتعايش مع الحركات القومية، الغرب لا يستطيع أن يتعايش مع حركات التحرر.

لذلك في السياسة الخارجية الأمريكية عمرهم ما قبلوا ما نسّميه بحركات التحرر الوطنية. إذن لا نخلط. الحركة الصهيونية هي حركة قومية ولا علاقة لها بالتحرر الوطني ولن يطرحوه بل بالعكس. الشطر الثاني من التساؤل أنه حتى في كتاباتهم هم أشاروا إلى أنفسهم بأنهم يؤسسوا مؤسسات كولونيالية، هم أرادوا أن يستوطنوا في فلسطين كولونيالياً هذا لا يغيب عنهم لأن الحركات القومية الأوروبية كلها بلا استثناء إذا تمكنت هي حركات استعمارية على العالم الثالث. إذن يجب أن لا نخلط، الحركة الصهيونية هي حركة قومية، عدوانية، هي استيطانية، هم يقولون. وهم في الدفاع عن أنفسهم عندما انتشرت حركات التحرر الوطني أرادوا أن يلصقوا أنفسهم وفشلوا، في الأمم المتحدة هرتصوغ الذي توفى طرح في الجامعات الأمريكية هم بدأوا يطرحوا أنفسهم بأنهم حركة تحرر وطني بعد أن انتشر موضوع حركات التحرر الوطني في العالم الثالث، لكن هم حقيقة حتى اليوم لا يؤمنوا بهذا، ولا في أدبيات الحركة الصهيونية ولا في الأدبيات لا يمكن أن تجد نقاشاً جاداً بأن الحركة الصهيونية هي حركة تحرر.

الشيء الثاني، نحن علينا أن ندرك كيف هذا الفكر الزائف وهذا المشروع الفاشل يكسر العالم العربي ويجمع اليهود، بالفكر الزائف، هل هناك فكراً زائفاً، فكرة فاشلة تعمل مجتمع قوي بهذا الشكل ويتعامل مع العالم بمنطق القوة والهيمنة، أنا لا أعرف فكر فاشل ومشروع فاشل بهذه القوة الفكرة والهيمنة بحيث نحن الذين قلنا والذين اعتدي علينا نتعامل معهم في هذا المنطق اليوم. نصل إلى اتفاق سياسي معهم، اتفاق جائر قسم منا يقبله وقسم منا يرفضه، لكن نحن الذين اعتدي علينا من هذا المشروع الفاشل من هذا الفكر الزائف نقبل، هذا شيء واقعي، فكلية أم منهل صحيحة، نعم علينا أن ندرس كيف تمكن هذا المجتمع من بناء نفسه، هذا المجتمع الزائف الذي خلق لغة مشتركة، وأنا أريد أن أؤكد لكم بالمنطق العلمي أنهم يستطيعون في ظرف 50 أو 60 أو 70 سنة، التي اللغة العبرية بدأوا "لينزفي" الرئيس الثاني هو اللغوي الذي صاغ اللغة العبرية الجديدة، هم أكثر قدرة على استخدام اللغة العبرية التي أحيوها منا نحن باستخدام اللغة العربية في العلوم، وهم ينتجوا علماء باللغة العبرية أفضل من العلم الذي نتججه نحن العرب، وعندما تذهبوا إلى الأساتذة الفطاحل في العالم العربي، يقول لك أنا لا أستطيع أن أعلم هذا العربي لأن المصطلحات بالانجليزي والفرنسي، هم عندما يعلموا بالعبري لا يخرطون، المصطلحات شيء، لكن استخدام اللغة كوسيلة للتفاهم في البناء الفكري، هم في هذا الظرف المحدود، الذي لا يوجد فيه تراث باللغة العبرية هم أوجدوه، هذا المجتمع الزائف في الفكر الزائف، تمكن من إيجاد اللغة المشتركة... من هنا يجب أن نميز وأن نكون واضحين، كيف ندرس هذا المجتمع، هناك مجتمع اسمه مجتمع إسرائيلي، أصبح له مقوماته كمجتمع إسرائيلي، جزء من إشكالية الحركة الصهيونية اليوم، أن هناك مجتمع إسرائيلي له مقوماته، له تراثه له عاداته له تقاليده له لغته، هذه اللغة التي يتكلمها في إسرائيل ليست اللغة التي يستعملها اليهود في أمريكا ولا في الأرجنتين ولا في بريطانيا، هذا المجتمع أصبح مجتمعاً متكاملًا وكأي مجتمع آخر به كثير من التناقضات، لا يوجد مجتمع في العالم، لا يكون مجتمع أصلاً إن لم يكن هناك صراع يومي في تحسين هذا المجتمع وبناءه، هم في مجتمع جديد مجتمع يستوعب الحبشي ويستوعب الأرجنتيني ويستوعب الروسي، والروسي يدرس اللغة العبرية في المدارس، مهما قال آباءهم هم يدرسون اللغة العبرية والعربي في مدارسهم يدرس اللغة العبرية، والحبشي يدرسها، وتجدهم جادين في هذا الموضوع لكي يخلقوا مجتمعاً إسرائيلياً يهودياً يميز بين اليهودي وغيره وفي المجتمع اليهودي هناك تناقضات كثيرة كما أن هناك تناقضات في المجتمع الإسلامي.

إذا أردنا أن نتعامل بفكر صحيح، وبسياسة صحيحة، بعمل صحيح وبتكتيك صحيح علينا أن نفهم هذا المجتمع، ومن أين يستمد قوته، نحن للآن لا نستطيع أن نعرف كيف يتمكن هذا المجتمع من جذب الآخرين من المجتمعات اليهودية. نحن لا ندرس هذا، ولا يوجد عندنا القدرة اللغوية لدراسة ما يفعلون، أنا أعتمد على اللغة الإنجليزية، وهم كثيرون الكتابة، عندهم إسهال لغوي، يكتبوا كثيراً، ولكن يفكروا في هذه

الكتب. كذلك علينا أن ندرس ماذا يكتبون في مجتمعهم وماذا يخططون في هذا المجتمع، هذا معنى القومية. أما اليهود أمة أو ليسوا أمة لا يعني ذلك، هم افترضوا هذا، وإذا كان مشروعهم فاشل فإن نظريتهم فاشلة. النظرية تقود إلى العمل، هم افترضوا أن هناك رابطاً أساسياً بينهم، سواء أسميناه قومية أو غيرها، غير مهم، لكن هذه الفكرة هي التي مكنتهم من المجيء إلى فلسطين والحصول على الشرعية والمقاومة والاستيلاء والتوسع والهيمنة والمزيد من التوسع بعد عملية السلام. نحن وظيفتنا أن نفهم كيف تمكنوا من ذلك.

النقطة الثانية، أن الصهيونية استخدمها الاستعمار، وكلنا نعرف ذلك، ولليوم نحن لا زلنا نتخبط في كيف نوظف القوى الدافينة التي ستساعدنا (قوة العالم الثالث كله) بما فيهم نلسون مانديلا لليوم يؤيد الشعب الفلسطيني، أي القضية هي الفكر، كيف يكون عندك رؤيا، أما ان نبقي نقول المعادلات العالمية هي ساعدتهم، طبعاً ساعدتهم، أنت فاعل في هذا العالم إما أن تكون فاعل أو فاعل فاشل أو متفرج، مهم جداً أن نفهم موقعنا في هذا العالم.

هم خطأ، هم يعلمون في مناهجهم انه لا يوجد شيء اسمه قومية عربية، هم خطأ، هم يعلمون أولادهم هذا الكلام، هم خطأ.... نحن نؤمن أن هناك قومية عربية ولكنها قومية غير فاعلة، لا نستطيع أن نستفيد من الشيء العظيم بين الشعوب العربية، أن يترجم هذا إلى قوة سياسية تدفعنا إلى الأمام، الدولة القطرية تحول دون الاستفادة من هذا الكنز، نحن لا نستطيع أن نستفيد من شيء نحن نطلق عليه القومية لكن عندما نقرأ كيف يكتب التاريخ، تاريخ فلسطين وتاريخ العرب ويعلموه لأبنائهم وللعرب الموجودين عندهم نجد أنه لا يوجد شيء اسمه قومية عربية، هناك دول وأقطار لها مصالح رأسمالية وإقطاعية، حتى أن الرابط الإسلامي غير موجود، لذلك هم يخطئون كما نخطئ، لكن خطأهم أقل وقعاً على مجتمعهم. من خطأنا لأننا نحن أخرجونا من الأرض، هم لا يخطئون، يقللوا من أهمية الشعب الفلسطيني، هم يكتشفوا أنه شعب قاعد، لكن عندما اكتشفوا عكس ذلك صلحوا من مناهجهم، هم يغيرون، كم يغيرون في المنهج هذا بحث آخر، لكن في التعامل هم بدأوا يتعاملوا مقابل ثمن كبير.

نحن نعيش الآن في عصر هم يطلقون عليه ما بعد الصهيونية، د. محمد أشار إلى قضية مهمة جداً أن المجتمع الإسرائيلي نفسه هو يعيش ما بعد الصهيونية، د. محمد أشار إلى مجتمع الرفاهية، أن الإنسان يعمل بالفرد من قاعدة الفرد وتقديم الفرد وهموم الفرد، هذا جزء من العالم الحديث، المجتمع الإسرائيلي يعيش هكذا. كم يؤثر ذلك في الحمية الصهيونية وفي الانتماء والعزيمة على التوسع وتحقيق الرؤيا الأساسية، أنا لا أعرف لكن هناك نقد ذاتي لم يصلوا إلى الحد الذي نقوله نحن، ألان بابي، وبني موريس، هؤلاء يقولون أن هذا الكلام لم يكن دقيقاً ونريد أن نصلحه، لكن هناك أناس يقولوا أن المشروع الصهيوني نفسه (بن حلومي) هو يقول أن المشروع الصهيوني كان فيه هو (إفناء الشعب الآخر). ونحن يجب أن نواجه هذه الحقيقة، كيف تتعامل مع هذه الحقيقة بعد أن أسست المجتمع الإسرائيلي، هو يقول نحن علينا أن نطلب المغفرة، لكن أنت لا تستطيع أن تلغيه، لكن أنا أريد أن أعترز لهم، أنا أذنبت، البقية لم يقولوا هكذا. نحن نعيش هذه المرحلة مهم جداً أن نرى الفروق، هو ليس مجتمع واحد فقط. له إطاره.

حقنا في العودة هو حق دولي (بالنسبة لسؤال عزام) أنا شخصياً لا أعتقد أن هناك أي تناقض مطلقاً بين أولاً قبولهم حق العودة ثانياً تنفيذه، أنا لا أرى أي خلل، إذا افترضنا، وأريد أن أعيدكم للتاريخ قليلاً، كان الجدل القديم أن مقدرة فلسطين الاستيعابية هي محدودة، هذا الحديث أنا أتذكره من اللجان التي أتت ومن الصكوك التي كانوا يعطونها للهجرة اليهودية، أي مقدرة فلسطين اقتصادياً لا تستطيع أن تستوعب، ودائماً الجدل يدور، اليهود يقولون لا تقدر أن تستوعب، نحن نقول لا تستطيع أن تستوعب، الإنجليز مرات يؤيدون ومرات أخرى لا يؤيدون، المهم الآن الأرقام الوحيدة التي أعرفها من مصادرهم أن فلسطين، تستطيع أن تستوعب أولاً 6 ملايين يهودي، وأنه يبقى عندنا أقلية عربية، يقولون أنها ليست مأساة

أن تبقى أقلية عربية في دولة يهودية. وايزمن قال خمسة، هم الآن 4.5 في الداخل، أنا أقول أنه إذا أعطي الفلسطينيين حق العودة، أنا سألت أُمي مرة قلت لها يا حجة يتحدثون عن العودة، ما رأيك بالعودة إلى يافا، قالت ماذا أعود أفعل، كل أهلي ساكنين هنا، أرض بلا ناس ما بتنداس.

لكن مهم جداً على الصعيد العملي وعلى الصعيد الرمزي أن نمارس هذا الحق، يعطى لنا، وهو معطى ولا يمكن أن يزال، الأمم المتحدة لم تزيله، والميثاق العالمي لحقوق الإنسان كذلك، حق مطلق للشعب الفلسطيني، كل شعوب العالم يحق لها أن تترك وترجع، بغض النظر عن الظروف، لكن الشعب الوحيد الذي له شرعياً حق العودة الشعب الفلسطيني بالاسم، أنا أقول مهم جداً هو في نظري جوهر القضية. ولا شيء يمنعني، القرار يقول أنه إن أردت أن تعيش بسلام مع الآخرين، هل إذا أعطي الفلسطيني بأن يعود إلى يافا وإلى حيفا وإلى عكا ويعيش بسلام مع الآخرين هل هو يرفض هذا، أو يأخذ التعويض أو يسكت. علينا أن نمارسه وأنا اعتقد أنه المفصل التاريخي لهذه القضية.

الأخ أبو نزار: حديث الدكتور حول الموضوع المشروع الزائف والمشروع الفاشل، يذكرني بحديث علي بن أبي طالب، عندما استصرخ قومه وهو يقول: "فوا عجباً من جد هؤلاء في باطلهم وتقاعسكم عن حقكم".

الأخ محمد شتية: أريد أن أركز على ثلاثة قضايا رئيسية في الرد، أولاً موضوع الاستيطان، الاستيطان الاستعماري في التجربة العالمية مقسم إلى أربعة مقاسم رئيسية، أولاً الاستعمار الاستيطاني حيث تعايش مع السكان الأصليين وهذه الحالة الوحيدة في العالم التي كانت في المكسيك. والحالة الثانية التي هزم فيها الاستيطان في إفريقيا والجزائر وغيرها، والحالة الثالثة التي هزم فيها السكان الأصليين كما حصل في نيوزيلندا، قبائل الماريك والأوبرجينز في أستراليا وأمريكا الشمالية، والحالة الرابعة الاستعمار الاستيطاني التي بقي الاستعمار فيها يتواصل في صراعه مع السكان الأصليين، كما حصل في فلسطين.

في فلسطين بالذات، وهذه النقطة مدى اقتصادية الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، يجب أن نميز بين الاستعمار الاستيطاني في فلسطين في بداياته والمستوطنات الاستعمارية في الضفة الغربية. هناك فرق واسع وشاسع بين الأسباب لهذا الاستيطان. واضح تماماً أن الاستعمار الاستيطاني في فلسطين لم يكن مشروع استيطاني، الاستعمار الاستيطاني في فلسطين في بدايته هو مشروع أيديولوجي من أجل إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين. في الضفة الغربية الحال آخر، هناك أربع تقسيمات رئيسية للمستوطنات، التقسيمة الأولى استعمار سياسي أمني اقتصادي، وهي مستعمرات الغور التي أقامها حزب العمل وهي من أجل ما أسموه في حينه مشروع ألون و (Tutorial compromise) والتقاسم الوظيفي وكل هذا، وبالتالي حتى رابين عندما طرح رؤيته للحل النهائي في موضوع المستوطنات ميز ما بين المستوطنات الأمنية وما بين المستوطنات السياسية. مستوطنات الغور هي عبارة عن مستوطنات سياسية أمنية اقتصادية لها قاعدة اقتصادية وتستهمل أراضي خصبة وتنتج بدورة على مدار السنة في كل الفصول.

النمط الثاني من الاستيطان الموجود في الضفة الغربية هو الاستيطان الأيديولوجي وهو بشكل أساسي المستعمرات الموجودة على رؤوس الجبال في الضفة الغربية والتي أسمها (يشوف كهلاتي) ومعظمها من حركة "غوش أمونيم" وذراعها الاستيطاني حركة "الأماناه" ومشروع "دروبلس".

ولكن هناك في الضفة الغربية استيطان اقتصادي وبشكل أساسي في منطقة (متروبوليتان تل أبيب)

ومنطقة (متروبوليتان القدس) وهي الشقق الرخيصة المدعومة اقتصادياً والقروض المدعومة أيضاً بنسب الفائدة وغيرها، والتي اشتراها الأزواج الذين يبحثون عن أماكن سكن رخيصة.

هذا التمييز مهم جداً لكي نرى مستقبل الاستعمار الاستيطاني في الضفة ولكي نرى مستقبل الموضوع ككل.

في الضفة الغربية الآن هناك 144 مستوطنة بما فيها المستوطنات المحيطة بالقدس، عدد المستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة بما فيها القدس 261 ألف مستوطن. بالتالي إذا نظرنا إلى الخارطة، نجد أن 144 مستوطنة كل واحدة منها يقابلها قرية شمالها وجنوبها وشرقها وغربها، بالتالي موضوع الاستيطان، وفي البداية أنا ذكرت أنه حتى المعادلة السياسية المطروحة بتقسيم الضفة الغربية إلى (أ) و (ب) و (ج) في المحصلة النهائية لن ينسحب حزب العمل من 90% ولا حزب الليكود سينسحب من 90%، المعادلة السياسية المطروحة للضفة الغربية هو تقسيمها في أحسن أحوالها 60% أو 40% أو غيره، وبالتالي هذا الموضوع سيعيد النضال الفلسطيني إلى المربع رقم واحد وسيصبح ليس من أجل دولة في الضفة الغربية وقطاع غزة بل سيصبح النضال الفلسطيني على مجمل التراب الفلسطيني بحدود فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر. وأعتقد أن هذا الواقع يقودنا إلى هذا الاتجاه وبالتالي استراتيجيتنا الفلسطينية يجب أيضاً أن تكون في هذا الاتجاه، وفي هذا الاتجاه أيضاً يصبح المستوطن الموجود في رام الله في مستوطنة عوفرة، نفس حاله حال المستوطن الموجود في تل أبيب وبالتالي حق العودة الفلسطينية من الرؤية الإسرائيلية، هو سيكون ضدها سواء كانت في يافا أو سواء كانت في رام الله. بالتالي موضوع الصراع رح يرجع إلى المربع رقم واحد إذا استمر الموضوع في هذا الشكل.

الموضوع الثاني هو موضوع هجرة اليهود من أمريكا، أنا باعتقادي أنه لا يمكن المقارنة ما بين هجرة اليهود الروس وهجرة اليهود الأمريكيين، هناك كان واقع لا يسمح للناس بالهجرة، الآن أي يهودي أمريكي يريد أن يهاجر الأبواب مفتوحة، المعادلة الداخلية في الولايات المتحدة في المنظور القريب ليست عنصر دفع باتجاه الهجرة الجماعية لليهود من الولايات المتحدة، أو حتى من الأرجنتين أو غيرها، لا يوجد عناصر دفع مثلما كان موجود، أو حتى عناصر الجذب بالمقارنة ما بين إسرائيل والولايات المتحدة من ناحية المستوى المعيشي والامتيازات التي تحقق إلى الفرد إذا كان هذا الفرد يريد أن يهاجر لأسباب اقتصادية وليس لأسباب أيديولوجية، بالتالي أنا ذكرت أن الهجرة ستكون هجرة انتقائية في المنظور القصير أكثر منها هجرة جماعية، لأن عناصر الدفع للهجرة الجماعية أو عناصر الجذب للهجرة الجماعية غير متوفرة الآن ولكن نحن ندرك أن المخزون القادم على المدى البعيد هو هجرة يهود الولايات المتحدة والأرجنتين وغيرها إلى إسرائيل.

النقطة الأخيرة في هذا السياق، موضوع الصهر، كون إسرائيل وعاء صهر للمهاجرين، هذا الأمر واضح ورأيناه، ولكن يجب أن لا نغفل التباينات الموجودة بالخلفيات الاثنية والعرقية للمهاجرين اليهود الذين جاءوا على فلسطين. وهناك ظاهرة في الانتخابات الأخيرة التي حدثت في إسرائيل مهمة جداً أن اليهود الروس كان لهم حزب سياسي، أن العرب لهم حزب سياسي، أن كهلاني الجمهور الأساسي له هم اليهود اليمنيين، ليفي الجمهور الأساسي له هم اليهود المغاربة، علينا أن لا نغفل هذا التباين والتناقض داخل المجتمع الإسرائيلي، ويبقى السؤال هو ما هي الاستراتيجية الفلسطينية للتعامل مع هذا الموضوع إذا كان حقيقة أن جزء من هؤلاء المهاجرين ليسوا يهود، السؤال أنه كيف نتعامل مع هذا الموضوع، ويبقى هذا يمكن محور نقاش حلقة قادمة في الاستراتيجية الفلسطينية تجاه الصهيونية والدولة العبرية وكيف ننفذ من خلال ما سمي أغلاط التاريخ أو أغلاط الحاضر وشكراً.

الأخ أبو نزار: شكراً أخ الدكتور محمد شتية وباسمكم نشكر الأخ د. إبراهيم أبو لغد والأخ الدكتور محمد اشتية على المحاضرتين القيمتين واللتين أثارتا حقيقة حواراً جدياً ومثيراً... قد يكون الوقت طويل على البعض ولكن في تقديرنا القضية تستحق وقت أكثر خاصة إذا استطعنا أن نستنتج مجموعة نقاط وخطوات عمل مستقبلية.

غداً سيكون لنا لقاء آخر مع أخوين الأخ علي الجرباوي والأخ أحمد غنيم، في لقاء حول موضوع:

1. المخطط الإسرائيلي لحل القضية الفلسطينية.

2. القدس في الاستراتيجية الصهيونية.

نشكركم جميعاً على حضوركم وملتقي بكم إن شاء الله في الغد وشكراً